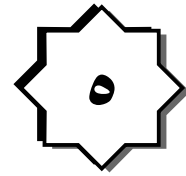


الطَّرِيقُ إِلَى اللَّهِ

سلسلة كتب إسلامية



مِنْ أَخْلَاقِيَّاتِ الْإِسْلَامِ

الداعية الإسلامية

ياسين رشدي

بسم الله الرحمن الرحيم

نموذج رقم ١٧
AL-AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writing & Translation

الأزهر
مجمع البحوث الإسلامية
الإدارة العامة
للبحوث والتأليف والترجمة



السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - وبعد :
بناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : **سيرة أبي بكر الصديق (عليه السلام)**
..... تأليف : **د. محمد عبد الله بن عبد الوهاب**

نفيد بأن الكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الإسلامية ولا مانع
من طبعه على نفقتكم الخاصة .

مع التأكيد على ضرورة الضمانة العامة بكتابة الآيات القرآنية والأحاديث
النبوية الشريفة .

والله الموفق

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مروحي ماهر

مدير عام
إدارة البحوث والتأليف والترجمة

خاتمة



تحريري ١ / ٦ / ١٤١٢ هـ
الواقي ٧ / ١٢ / ١٩٩١ م

حقوق الطبع والنشر والتوزيع محفوظة
لجمعية المواساة الإسلامية بالإسكندرية

الفهرس

ص	البیان	ص	البیان
٨٨	العفة.....	٣	تقديم.....
٩٣	الأمانة.....	١٠	بر الوالدين.....
١٠٤	الحلم.....	١٨	صلة الرحم.....
١٠٨	الكرم.....	٢٣	رعاية اليتيم.....
١١٤	الوفاء.....	٢٧	رعاية الفقراء.....
١١٨	العفو.....	٣٢	حسن الحوار.....
١٢١	الصّفح.....	٣٦	الإصلاح بين الناس.....
١٢٦	النصيحة.....	٤١	الأخوة في الله.....
١٣٠	العدل.....	٤٧	حقوق الزوجين.....
١٣٥	الصدق.....	٥٩	تربية الأبناء.....
١٤٣	الإخلاص.....	٦٦	النظافة.....
١٤٨	الصبر.....	٧١	الحياء.....
		٨١	التواضع.....

رقم الإيداع ١٥٥٥ ١٩٩٢

الترقيم الدولي 6 - 0110 - 14 - 977 I.S.B.N.

تقديم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَفُّو الْغَفُور ..
لَا تَنْقُضِي نَعْمَهُ وَلَا تُخْصِي عَلَى مَرِّ الدُّهُور ..
وَسِعَ الْخَلَائِقَ حِلْمُهُ مَهْمَا ارْتَكَبُوا مِنْ شُرُور ..
سَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ مِنْ قَبْلِ خَلْقِ الْأَيَّامِ وَالشُّهُور ..
يَتُوبُ عَلَى مَنْ تَابَ ، وَيَغْفِرُ لِمَنْ أَنَابَ ، وَيَجْبِرُ الْمَكْسُور ..
نَحْمَدُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَمْدَ الْقَانِعِ الشَّاكُور ..
وَنَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفُجُور ..
وَنَسْأَلُهُ السَّلَامَةَ مِمَّا يُورِثُ الْمَلَالَةَ أَوْ التُّفُور ..
وَنَرْجُوهُ الْعِصْمَةَ فِيمَا بَقِيَ مِنْ أَعْمَارِنَا وَأَنْ يَنُورَ قُلُوبَنَا وَالْقُبُور ..



وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ جَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّور ..
خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِيهَا مِنْ تَفَاوُتٍ أَوْ فُطُور ..
أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَمِنْهُ أَنْهَارٌ وَأَبَارٌ وَبُحُور ..
وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ مِنْهَا الْحِصْبَةُ وَمِنْهَا الْبُور ..
جَعَلَ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَفِي النَّهَارِ نُشُور ..

مَيِّزَ الْأَشْيَاءَ بِأَضْدَادِهَا فَبِالْظُّلِّ عُرِفَ الْحَرُورُ ..
وَلَوْلَا الْأَعْمَى مَا اعْتَبَرَ الْبَصِيرُ .. وَلَوْلَا الْحُزْنُ مَا عُرِفَ السُّرُورُ ..
وَلَوْلَا السَّقِيمُ مَا شَكَرَ السَّلِيمُ .. وَلَوْلَا السَّفَهُ مَا مُدِحَ لِلْعَقْلِ حُضُورُ ..
وَلَوْلَا الْقَحْطُ مَا طُلِبَ الرَّخَاءُ .. وَلَوْلَا الْخَوْفُ مَا كَانَ لِلْأَمَانِ ظُهُورُ ..
وَلَوْلَا الظُّلْمُ مَا كَانَ لِلْعَدْلِ فَضِيلَةٌ .. وَلَوْلَا الْفِسْقُ مَا كَانَ لِلطَّائِعِينَ أَجُورُ ..
وَلَوْلَا الْقُبْحُ مَا مُدِحَ الْجَمَالُ ، وَلَوْلَا الْحَمَائِمُ مَا تَوَحَّشَتِ الصُّقُورُ ..
وَلَوْلَا النَّقْصُ مَا عُرِفَ الْكَمَالُ ، وَلَوْلَا الْجُبْنُ مَا انْتَصَرَ الْجَسُورُ ..
وَلَوْلَا الطَّمَعُ مَا رَجَوْنَا ، وَلَوْلَا الْخَوْفُ مَا انْتَهَيْنَا ،
وَلَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا ، وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ..



وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ كَامِلُ النُّورِ ..
الْمَرْفُوعُ ذِكْرُهُ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَكَذَلِكَ فِي الزَّبُورِ ..
الْمُزْمَلُ بِالْفَضِيلَةِ وَالْمُدْتَرُّ بِالطُّهْرِ وَالْعَفَافِ وَالْمُبْرَأُ مِنَ الشُّرُورِ ..
مَا كَانَ سَبَابًا ، وَمَا كَانَ صَخَابًا ، وَلَا دَعَا بِالْوَيْلِ أَوْ الثُّبُورِ ..
مَا كَانَ خَدَاعًا ، وَمَا كَانَ مُرْتَابًا ، وَلَا سَلْبَ بِالْحِيلَةِ أَهْلَ الدُّثُورِ ..
مَا لَبَسَ الْحَرِيرَ ، وَمَا نَامَ عَلَى الْوَتِيرِ ، وَلَا شِيدَتْ لِسُكْنَاهُ الْقُصُورِ ..
مَا هَيَّئَتْ لَهُ الْوَسَائِدَ ، وَمَا مُدَّتْ لِأَجْلِهِ الْمَوَائِدَ ،

وَلَا اَمْنٌ تَلَأَتْ بِـالْأَلْوَانِ طَعَامِهِ الْقُدُورُ ..
مَا جُمِعَ لَهُ الْمَالُ ، وَمَا اسْتَدَلَ اَعْنَاقَ الرَّجَالِ ،
وَلَا هُـدِّمَتْ بِبَطْشِهِ الْقُدُورُ ..
مَا اصْطَكَّتْ بِالرُّعْبِ مِنْهُ اَسْنَانُ ، وَمَا ارْتَعَدَتْ مِنْ هَيْبَتِهِ الْاَبْدَانُ ،
وَلَا اَمْنٌ تَلَأَتْ بِـالْخَوْفِ مِنْهُ الصُّدُورُ ..
مَا زِيَّفَتْ لَهُ الْحَقَائِقُ ، وَمَا رُفِعَتْ لِتَحِيَّتِهِ الْبَيَارِقُ ، وَلَا صَفَّقَ لَهُ مَاجُورُ ..
مَا مَشَتْ اَمَامَهُ الْاَحْرَاسُ ، وَمَا دُقَّتْ لَهُ الْاَجْرَاسُ ، وَلَا تَغَنَّتْ بِاَمْجَادِهِ الْحُورُ ..
مَا رَفَعَ الشُّعَارَاتُ ، وَمَا اسْتَقْبَلَ بِالْهَتَافَاتِ ، وَلَا نُثِرَتْ فِي طَرِيقِهِ الزُّهُورُ ..
مَا اَثَابَ عَلَى النِّفَاقِ ، وَمَا اَجَازَ لِأُمَّتِهِ الشَّقَاقِ ، وَلَا قِيلَ مِنْ اَجَلِهِ الزُّورُ ..
مَا احْتَجَبَ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَمَا انْتَصَرَ لِقَبِيلَتِهِ ، وَلَا اَبَاحَ لِنَفْسِهِ الْمَحْظُورُ ..
مَا وَهَنْتْ عَزِيمَتُهُ ، وَمَا تَغَيَّرَتْ سَجِيَّتُهُ ، وَلَا اَصَابَهُ مِنَ الْمَدِيحِ غُرُورُ ..
إِذَا تَكَلَّمَ وَعَى سَامِعُوهُ ، وَإِذَا عَمِلَ قَلَدَهُ تَابِعُوهُ ،
بِالْإِخْلَاصِ وَلَيْسَ مِنْ أَجْلِ الظُّهُورِ ..
هُوَ الرَّحْمَةُ الْمُهِدَاةُ ، وَهُوَ النِّعْمَةُ الْمُسْنَدَاةُ ،
وَلَوْ تَبِعْنَا سُنَّتَهُ مَا اخْتَلَطَتْ عَلَيْنَا الْأُمُورُ ..
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا بَدْرِ الْبُدُورِ ..
وَعَلَى الصَّحْبِ وَالْآلِ وَمَنْ تَبَعَ ، وَقِنَا بِحُبِّهِمْ كُلَّ الشُّرُورِ ..

أما بعد ،،

فقد قال الله عزَّ وجلَّ لنبه (ﷺ) مُمْتَنَّا عليه : (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) ^(١) ،
و حين سُئِلَت السيدة عائشة (رضي الله عنها) عن خلقه (ﷺ) قالت : (كَانَ خُلُقُهُ
الْقُرْآنَ) ^(٢) .. ويقول هو (ﷺ) مُحَدِّدًا الهدف مِنْ بعثته : (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ
الْأَخْلَاقِ) ^(٣) .. وقد رُوِيَ أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ (رضي الله عنه) قال لرسول الله (ﷺ) : يَا
رَسُولَ اللَّهِ ، أَوْصِنِي .. قال : (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ) .. قال : زِدْنِي .. قال :
(اتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا) .. قال : زِدْنِي .. قال : (خَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ
حَسَنٍ) ^(٤) .. ويقول (ﷺ) : (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا) ^(٥) .. وقد
كَانَ مِنْ دَعَائِهِ (ﷺ) : (اللَّهُمَّ اهْدِنِي لَأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ ، لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا
أَنْتَ ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا ، لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ) ^(٦) ..

والخُلُقُ فِي اللُّغَةِ هُوَ : مَا يَأْخُذُ بِهِ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ مِنَ الْأَدَبِ ، لِأَنَّهُ يَصِيرُ
كَالْخُلُقَةِ فِيهِ .. وَحُسْنُ الْخُلُقِ قَدْ يَكُونُ هِبَةً مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، بِحَيْثُ يُوَلِّدُ الْإِنْسَانَ
كَامِلَ الْعَقْلِ ، حَسَنَ الْخُلُقِ ، كَمَا هُوَ الْحَالُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ .. وَقَدْ يَكُونُ
مُكْتَسَبًا بِالْمُجَاهَدَةِ ، وَحَمَلِ النَّفْسِ عَلَى الْأَعْمَالِ الَّتِي يَقْتَضِيهَا الْخُلُقُ الْمَطْلُوبُ ..
فَمَثَلًا مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَخَلَّقَ بِالْكَرَمِ ، وَالسَّخَاءِ ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَكَلَّفَ الْإِنْفَاقَ فِي وَجْهِهِ
الْخَيْرِ ، وَدَعْوَةَ النَّاسِ إِلَى الطَّعَامِ ، وَبَذْلَ الْمَالِ لِلْمُحْتَاجِينَ ، وَيُؤَاظِبَ عَلَى ذَلِكَ تَكَلُّفًا

^(٢) رواه أحمد مسند الأنصار .

^(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير .

^(٦) رواه مسلم كتاب صلاة المسافرين .

^(١) سورة القلم آية ٤ .

^(٣) رواه البيهقي كتاب الشهادات .

^(٥) رواه أحمد باقى مسند المكثرين .

مُجَاهِدًا نَفْسَهُ حَتَّى يَصِيرَ ذَلِكَ طَبَعًا لَهُ ، فَيَسْهَلُ عَلَيْهِ الْإِنْفَاقُ ، فَيَصْبِحُ كَرِيمًا جَوَادًا بِالتَّطَبُّعِ .. وَهَكَذَا فِي جَمِيعِ الْأَخْلَاقِ الْمَطْلُوبَةِ ، وَالَّتِي أَمَرَ بِهَا الْإِسْلَامُ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) قُدْوَةً ، وَأُسْوَةً لَنَا فِيهَا ..

وَالْمُتَأَمِّلُ فِي التَّكَالِيفِ الشَّرْعِيَّةِ يَجِدُ أَنَّهَا جَمِيعًا لَيْسَتْ غَايَاتٍ فِي حَدِّ ذَاتِهَا ، وَإِنَّمَا هِيَ وَسَائِلُ لِلْوُصُولِ إِلَى غَايَاتٍ ..

فَمَثَلًا « الصَّلَاةُ » يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي شَأْنِهَا : (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ)^(١) .. إِذَا فَالصَّلَاةُ وَسِيلَةٌ ، وَالْغَايَةُ أَنْ يَنْتَهَى الْإِنْسَانُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، فَمَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَدْ قَصُرَتْ بِهِ الْوَسِيلَةُ عَنْ بُلُوغِ الْغَايَةِ .. وَلَوْ نَظَرْنَا إِلَى « الصِّيَامِ » لَوَجَدْنَا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ : (يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)^(٢) .. فَالصِّيَامُ وَسِيلَةٌ لِبُلُوغِ التَّقْوَى ، لِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) : (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ)^(٣) .. وَكَذَلِكَ « الزَّكَاةُ » مَا هِيَ إِلَّا نَوْعٌ مِنَ التَّكَافُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ ، وَإِحْسَاسِ الْغِنَى بِالْفَقِيرِ ، وَإِيجَادِ التَّرَاحُمِ بَيْنَ النَّاسِ ، وَالتَّعَاطُفِ ، لِذَا كَانَ الْمَنُّ بِإِعْطَاءِ الزَّكَاةِ لِلْفَقِيرِ مُبْطِلًا لَهَا كَمَا قَالَ الْحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : (يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى)^(٤) إِذْ إِنْ الزَّكَاةُ لَمْ تَصِلْ بِصَاحِبِهَا

(١) سورة العنكبوت آية ٤٥ . (٢) سورة البقرة آية ١٨٣ . (٣) رواه البخارى كتاب الصوم .

(٤) سورة البقرة آية ٢٦٤ .

إلى غايتها : وهى الرحمة والأخوة ، والإحساس بأن للفقير حقاً عليه ، وأنه أخ له فى الإسلام ..

وكذلك جميع الأوامر مثل : « بَرِّ الْوَالِدَيْنِ » ، و« صِلِ الرَّحِمَ » ، و« كَفَالَةَ الْيَتَامَى » ، و« حُسْنَ الْجَوَارِ » ، و« معاشرة الزوجة بالمعروف » ، و« إكرام الضيف » ، و« الْعَفْوُ » ، و« الصَّفْحُ » ، و« الْكَرَمُ » ، و« الْأَمَانَةُ » ، و« الْعَدْلُ » ، ما هى إلا أخلاقيات كريمة ، إذا سادت المجتمع صَلَحَ ، وَصَلَحَ أَفْرَادُهُ ، وعاش الناس فى سلامٍ وَوِثَامٍ .. وكذلك جميع النواهي : كالنهي عن « الْعُقُوقِ » ، و« الزُّنَا » ، و« السَّرِقَةِ » ، و« الْغَشِّ » ، و« الْخِيَانَةِ » ، و« الظلم » ، و« الْغِيَةِ » ، و« النَّمِيمَةِ » ، و« الْقَتْلِ » ، و« الرِّبَا » ، و« الْبَذَاءَةِ » ، و« السَّبَابِ » ، و« الْعَدَاوَةِ » ، وما إلى ذلك ، ما هى إلا نَهْيٌ عَنْ سُوءِ الْخُلُقِ الذى يُفْسِدُ ما بين الناس ، فيفسد المجتمع ، وتضيع الحقوق ، وتضمحل القيم ، فتتهار الأمة من داخلها ..

وصدق رسول الله (ﷺ) إذ يقول : (إِنْ مِنْ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ ، وَأَقْرَبُكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا .. وَإِنْ أَبْغَضُكُمْ إِلَيَّ ، وَأَبْعَدُكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ : الثَّرَثَارُونَ ^(١) ، وَالْمُتَشَدِّقُونَ ^(٢) ، وَالْمُتَفِيهِقُونَ .. قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرَثَارُونَ ، وَالْمُتَشَدِّقُونَ ، فَمَا الْمُتَفِيهِقُونَ ؟ قَالَ : الْمُتَكَبِّرُونَ) ^(٣) ..

(١) الثرثارون : هم الذين يكثر الكلام تكلفاً .

(٢) المتشدقون : هم الذين يتطاولون على الناس بالكلام .

(٣) رواه الترمذى كتاب البر والصلة .

وهكذا نرى أن علوَّ المنزلة يوم القيامة لا يتم بلوغها إلا بحسن الخلق ، إذ إن أعلى المنازل على الإطلاق منزلة سيّد الخلق (ﷺ) ، وبالتالي كان القريبون منه مجلساً هم الحائزون لأعلى المنازل الذين بلغوها بحسن الخلق ..

وقد أجمعنا - أيها القارئ الكريم - فيما يلي بعض أخلاقيات الإسلام التي اتّصفَ بها رسول الله (ﷺ) والصالحون من بعده ، لعل الله تبارك وتعالى أن يُوفّقنا بفضلِهِ للاتّصافِ بها ، ويُلهِمنا بكَرَمِهِ العملَ على بلوغها ، كي نفوز بسعادة الدارين ..

إنَّه على ما يشاء قدير .. وبالإجابة جدير ..
وهو نعيم المولى .. ونعيم النصير ..



بِرُّ الْوَالِدَيْنِ

وهو الوفاء بحقهما .. فقد أوليَاهُ مِنَ النِّعَمِ : التَّسْبِيحُ فِي إِيجَادِهِ ، وَتَرْبِيَّتِهِ ، وَرِعَايَتِهِ ، وَالْإِنْفَاقَ عَلَيْهِ .. فَكُم سَهْرًا لِيَنَام !! .. وَكُم جَاعًا لِيَشْبَعَ !! .. وَكُم تَحَمُّلًا مِنَ الْأَلَمِ وَالْقَلْقِ لِيُوفِّرَ لَهُ الْأَمْنَ وَالْأَمَانَ .. وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِعِبَادَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ ، وَجَعَلَ بِرَّ الْوَالِدَيْنِ مَقْرُونًا بِذَلِكَ فَقَالَ : (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا)^(١) .. كَمَا قَرَنَ شُكْرَهُمَا بِشُكْرِهِ فَقَالَ : (أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ)^(٢) .. وَقَدْ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ ؟ قَالَ : (الصَّلَاةُ عَلَى وَفْتِهَا) .. قَالَ السَّائِلُ : ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ : (بِرُّ الْوَالِدَيْنِ) .. قَالَ السَّائِلُ : ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ : (الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)^(٣) .. إِذَا فَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ هُوَ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ بَعْدَ الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ دَعَائِمِ الْإِسْلَامِ ..

وَيَعْتَبَرُ عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ : أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ .. قَالَ : الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَكَانَ مُتَكِنًا فَجَلَسَ فَقَالَ : أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ .. فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى قَالُوا : لَا يَسْكُتُ !!^(٤) .. وَهَذَا الْحَدِيثُ مُصَدِّقٌ لِقَوْلِ الْحَقِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا)^(٥) .. وَقَدْ نَهَى رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى

^(٣) رواه البخارى كتاب الأدب .

^(٢) سورة لقمان آية ١٤ .

^(١) سورة الإسراء آية ٢٣ .

^(٥) سورة الأنعام آية ١٥١ .

^(٤) رواه البخارى كتاب الأدب .

عن قول كلمة : (أَفَّ) لهما ، وهى كلمة تَضَجُّرُ وَرَفُضٌ .. كما نهى عن نَهْرِهِمَا ، وهو الزَّجْرُ وَالْغِلْظَةُ .. وما زاد عن كلمة (أَفَّ) فهو فى النهى أَشَدُّ .. كما نهى النبى (ﷺ) عن التَّسَبُّبِ فى شَتْمِهِمَا ، ولو عن غير قصد ، وَعَدَّ ذلك من الكبائر فقال (ﷺ) : **مِنَ الْكِبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ .. قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَهَلْ يَشْتَمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ؟! قَالَ : نَعَمْ ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ .. وَيَسُبُّ أُمَّهُ ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ ..** (١)

وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ : موافقتهم على أغراضهما .. والعُقُوقُ : مخالفتهم فى أغراضهما الجائزة لهما .. وعليه إذا أَمَرَ أحدهما بأمر وَجَبَت الطاعة ، إذا لم يكن فى الأمر معصية لله ، فرسول الله (ﷺ) يقول : (لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ) (٢) .. وقد رُوِيَ أَنَّ عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) قال : **كَانَتْ تَحْتِي امْرَأَةٌ أَحِبُّهَا ، وَكَانَ أَبِي يَكْرَهُهَا ، فَأَمَرَنِي أَنْ أُطْلِقَهَا فَأَيْتُ .. فَاتَى النَّبِيَّ (ﷺ) فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ فَقَالَ : (يَا عَبْدَ اللَّهِ ، طَلِّقْ امْرَأَتَكَ) فَطَلَّقْتُهَا ..** (٣)

ولا يختص بِرُّ الْوَالِدَيْنِ بِأَنْ يَكُونَا مُسْلِمَيْنِ .. بل إن كانا كَافِرَيْنِ وَجِبَ أَيْضًا بِرُّهُمَا ، والإحسانُ إليهما ، فقد ورد عن أسماء بنت أبى بكر الصِّدِّيق (رضى الله عنها) أَنَّهَا قَالَتْ : **قَدِمْتُ عَلَى أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ ، فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) ، قُلْتُ : إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ وَهِيَ رَاغِبَةٌ (٤) ، أَفَأَصِلُ**

(١) رواه مسلم كتاب الإيمان .

(٢) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير .

(٣) رواه أحمد مسند المكثرين من الصحابة .

(٤) راغبة فى صلتى أو راغبة عن الإسلام .

أُمِّي ؟ .. قَالَ : (نَعَمْ ، صِلِي أُمَّكَ)^(١) .. وقيل : إن هذا هو سبب نزول قول الله تبارك وتعالى : (لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ تُخْرِجُوا مِنْ دَيْرِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)^(٢) .. وقد روى أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ يستأذنه في الجهاد ، فقال : (أَحَىُّ وَالِدَاكَ ؟) .. قَالَ : نَعَمْ .. قَالَ : (فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ)^(٣) .. كما جاء رجل إلى النبي ﷺ يبایعه على الهجرة ، وترك أبويه يبيكان ، فقال له : (ارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَأَضْحِكُهُمَا كَمَا أَبْكَيْتُهُمَا)^(٤) ..

هذا .. وما ينطبق على الآباء والأمهات ينطبق على الأجداد والجدات ، فهم أيضاً آباء وأمهات ..

ومهما فعل الإنسان من برٍّ بوالديه لا يمكن أن يوفيهما حقهما ، أو يجزيهما عن إحسانهما إليه .. فقد قال النبي ﷺ : (لَا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ)^(٥) .. وعندما قيل لمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ (رضي الله عنه) : مَا حَقُّ الْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ ؟ قَالَ : (لَوْ خَرَجْتَ مِنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ مَا أَدَّيْتُ حَقَّهُمَا)^(٦) .. وعن عبد الرحمن بن شريح أن امرأة أتت النبي عليه الصلاة والسلام فقالت : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ أُمَّي بَلَغَتْ فِي السِّنِّ عِنْدِي حَتَّى وَلَيْتُ مِنْهَا الَّذِي كَانَتْ وَلَيْتُهُ مِنِّي ،

(١) رواه البخارى كتابي الأدب والهمة .

(٢) سورة الممتحنة آية ٨ .

(٣) رواه البخارى كتاب الجهاد .

(٤) رواه النسائي كتاب البيعة .

(٥) رواه مسلم كتاب العتق .

(٦) رواه ابن أبي شيبة كتاب الأدب .

وَحَتَّى لَمْ يَكُنْ لَهَا عَيْشٌ إِلَّا دَرَى ، وَكُنْتُ أَنْظِفُهَا مَا يُنْظَفُ مِنْهُ الصَّبِيُّ ، فَهَلْ بَلَغْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا مَا كَانَ ؟ .. قَالَ : (لَا ، إِنَّكَ وَلَيْتَ مِنْهَا الَّذِي ذَكَرْتَ وَأَنْتِ تُحِبِّينَ الرَّاحَةَ مِنْهَا ، وَوَلَيْتَ ذَلِكَ مِنْكَ وَهِيَ تُحِبُّ بَقَاءَكَ) .. يقول أبو شَرِيح : وسمعت ابن عمر بن الخطاب قال لبعض من يقول في نحو ذلك : (ولا طَلْقَةً ^(١) مِنْ طَلَاتِقِهَا) ^(٢) ..

ولا ينتهى برُّ الوالدين بوفاتهما ، بل يستمر حتى بعد مماتهما ، فقد جاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ بَقِيَ مِنْ بَرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبْرُهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا ؟ قَالَ : (نَعَمْ .. الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا ، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا ، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا ، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا) ^(٣) ..

وبرُّ الوالدين في الكِبَرِ من أهم الطاعات والقُرْبَات ، لَأَنَّهُمَا فِي هَذِهِ الْمَرَحَلَةِ أَوْلَى بِالرَّعَايَةِ ، وَأَحَقُّ بِالْعِنَايَةِ .. وَالسَّعِيدُ هُوَ الَّذِي يُيَادِرُ بِاِغْتِنَامِ فُرْصَةِ بَرِّهِمَا لِئَلَّا تَفُوتَهُ بِمَوْتِهِمَا فَيَنْدِمَ عَلَى ذَلِكَ .. وَالشَّقِيُّ مَنْ عَقَّهُمَا ، فَقَدْ رَوَى أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ : رَغِمَ أَنْفُهُ ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ ^(٤) .. قِيلَ : مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ .. قَالَ : مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا ، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ .. ^(٥)

^(١) الطَّلَق : وجع الولادة . ^(٢) رواه ابن وهب في « الجامع للحديث » كتاب الأسماء .

^(٣) رواه أبو داود كتاب الأدب . ^(٤) رَغِمَ أَنْفُهُ : أَي لَصِقَ بِالرَّغَامِ - وَهُوَ التُّرَابُ - مِنْ الدُّلِّ .

^(٥) رواه مسلم كتاب البر والصلة .

وقد أمرنا ربُّنا تبارك وتعالى بخفض الجناح لهما ، والتدُّلُّ لهما ، والتحدُّث معهما بالكلام اللين اللطيف ، والدعاء لهما ، والترحم عليهما بقوله : (وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا)^(١) ..

وكما أن برَّ الوالدين يُدخِلُ صاحبه الجنة ، فإنه يفيدُه في الدنيا بأن يبرَّهُ أبنائَه لقول النبي (ﷺ) : (بَرُّوا آبَاءَكُمْ تَبَرُّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ)^(٢) .. وبرُّ الأمِّ مُقدِّمٌ على برِّ الأب .. ومَحَبَّةُ الأمِّ ، والشفقة عليها ينبغي أن تكون ثلاثة أمثال حُبِّ الأب .. فقد تحملت : الحَمْلَ ، والولادة ، والإرضاع .. كما أن التربية تنفرد بها الأم دون الأب .. وقد جاء رجل إلى النبي (ﷺ) فقال : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي ؟ قَالَ : أُمُّكَ ، قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : ثُمَّ أُمُّكَ ، قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : ثُمَّ أَبُوكَ^(٣) .. وقد ورد عن الإمام مالك (رحمته الله) أن رجلاً استفتاه قائلاً : إن أبي على سفر ، وأرسل يستدعيني وأنا مُقيمٌ مع أمِّي ، فَأَبْتُ عَلَى السَّفَرِ ، وطلبت مني البقاء معها ، فأيهما أُطِيعُ ؟! .. قال الإمام مالك : (أَطِيعْ أَبَاكَ ، وَلَا تَعْصِ أُمَّكَ)^(٤) .. فخرج الرجل مُتَحِيرًا .. هذا .. وطاعة الأبوين واجبة على الزوج بعد طاعة الله مباشرة .. أما بالنسبة إلى الزوجة : فطاعة زوجها مُقدَّمة على طاعة أبويها ، وذلك لأن الرسول (ﷺ)

^(١) سورة الإسراء الآيتان ٢٣ ، ٢٤ . ^(٢) رواه الحاكم في المستدرک . ^(٣) رواه البخارى كتاب الأدب .

^(٤) تفسير القرطبي .

يقول : (إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا ، وَصَامَتْ شَهْرَهَا ، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا ، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا ، قِيلَ لَهَا : ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتَ)^(١) ..
 وبركة البرِّ بالوالدين لا حُدود لها .. ويحكى لنا النبي (ﷺ) عن مثلِ لهذه البركة
 فيقول : (انْطَلَقَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوْوَا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ ، فَدَخَلُوهُ
 فَأَحْدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ ، فَقَالُوا : إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ
 هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ .. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : اللَّهُمَّ
 كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ^(٢) قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا^(٣) ،
 فَنَأَى^(٤) بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا فَلَمْ أُرِحْ^(٥) عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا ، فَحَلَبْتُ لَهُمَا
 غُبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا ، فَلَبِثْتُ
 - وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ ، وَالصَّبِيَّةُ يَتَضَاغُونَ^(٦) عِنْدَ قَدَمَيَّ - أَتَنْتَرُ اسْتِيقَاضَهُمَا
 حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ^(٧) ، فَاسْتَيْقَظَا ، فَشَرَبَا غُبُوقَهُمَا .. اللَّهُمَّ ، إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ
 ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ .. فَأَنْفَرَجَتْ شَيْئًا
 لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ .. وَقَالَ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ ، كَانَتْ أَحَبَّ
 النَّاسِ إِلَيَّ ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا^(٨) ، فَاْمْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمْتُ بِهَا سَنَةً^(٩) مِنْ
 السِّنِينَ ، فَجَاءَنِي ، فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ

(١) رواه أحمد مسند العشرة المبشرين بالجنة .

(٢) يريد بذلك الزوجة والأولاد والرقيق والدواب .

(٣) نَأَى : بَعُدَ .

(٤) لم أُرِحَ : لم أَعُدَ .

(٥) يتضاغون : يصيحون ويستغيثون من الجوع .

(٦) برق الفجر : طلع وظهر ضياؤه .

(٧) أردتها عن نفسها : كناية عن الجماع .

(٨) أَلَمْتُ بِهَا سَنَةً : أصابتها شدة وحاجة .

نَفْسَهَا ، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا ، قَالَتْ : لَا أَحِلُّ لَكَ أَنْ تَفْضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ ^(١) ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا ، فَأَنْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أُعْطِيتُهَا .. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ .. فَأَنْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا .. وَقَالَ الثَّالِثُ : اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجْرَاءَ ، فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ ، فَثَمَرْتُ أَجْرَهُ ^(٢) حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ ، فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي ، فَقُلْتُ لَهُ : كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ : مِنَ الْإِبِلِ ، وَالْبَقَرِ ، وَالْغَنَمِ ، وَالرَّقِيقِ .. فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، لَا تَسْتَهْزِئْ بِي .. فَقُلْتُ : إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ ، فَاسْتَاقَهُ ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا .. اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ .. فَأَنْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ ^(٣) ..

وهكذا نرى كيف أن برَّ الوالدين يُنجي من المهالك ، وأنه من الأعمال التي قد يلجأ الإنسان بها إلى الله حال الكرب ، فيكشف الله بها كربها .. وهناك قصة أخرى نرى أنه من المناسب أن نختم بها هذا الموضوع الهام لتتعرَّف بعض حقوق الأب على ابنه : فقد جاء رجل إلى النبي (ﷺ) فقال : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ أَبِي أَخَذَ مَالِي ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) لِلرَّجُلِ : (اذْهَبْ فَأَتِنِي بِأَيِّكَ) .. فَتَزَلَّ جَبْرِيلُ (عليه السلام) عَلَى النَّبِيِّ (ﷺ) ، فَقَالَ : (إِنَّ اللَّهَ يُقْرُئُكَ السَّلَامَ ، وَيَقُولُ : إِذَا جَاءَكَ الشَّيْخُ ،

^(٢) ثَمَرْتُ أَجْرَهُ : نَمَيْتَهُ لَهُ .

^(١) فض الخاتم : كناية عن الجماع .

^(٣) رواه البخاري كتابي الإجارة ، والمزارعة .

فَسَلَّهُ عَنْ شَيْءٍ قَالَهُ فِي نَفْسِهِ مَا سَمِعْتُهُ أُذْنَاهُ) .. فَلَمَّا جَاءَ الشَّيْخُ ، قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : (مَا بَالُ ابْنِكَ يَشْكُوكَ ، أَتُرِيدُ أَنْ تَأْخُذَ مَالَهُ ؟!) .. فَقَالَ : سَلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ أَنْفَقْتُهُ إِلَّا عَلَى عَمَّاتِهِ ، أَوْ خَالَاتِهِ ، أَوْ عَلَى نَفْسِي ؟! .. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (إِيهِ .. دَعْنَا مِنْ هَذَا .. أَخْبِرْنِي عَنْ شَيْءٍ قُلْتَهُ فِي نَفْسِكَ مَا سَمِعْتُهُ أُذْنَاكَ) .. فَقَالَ الشَّيْخُ : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا يَزَالُ اللَّهُ يَزِيدُنَا بِكَ يَقِينًا ، لَقَدْ قُلْتُ فِي نَفْسِي شَيْئًا مَا سَمِعْتُهُ أُذْنَايَ .. فَقَالَ ﷺ : (قُلْ ، وَأَنَا أَسْمَعُ) .. قَالَ : قُلْتُ :

غَذَوْتُكَ ^(١) مَوْلُودًا وَمُتْنِكَ ^(٢) يَافِعًا ^(٣)	تَعَلُّ بِمَا أَجْنِي عَلَيْكَ وَتَنْهَلُ ^(٤)
إِذَا لَيْلَةٌ ضَافَتْكَ بِالسَّقَمِ ^(٥) لَمْ أَبْتَ	لِسُقْمِكَ إِلَّا سَاهِرًا أَتَمَلُّمُ ^(٦)
كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذِي	طُرِقْتُ بِهِ دُونِي فَعَيْنَايَ تَهْمُلُ ^(٧)
تَخَافُ الرَّدَى ^(٨) نَفْسِي عَلَيْكَ وَإِنَّهَا	لَتَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ وَقْتُ مُوجَلٍ
فَلَمَّا بَلَغْتَ السَّنَّ وَالْغَايَةَ الَّتِي	إِلَيْهَا مَدَى مَا فِيكَ كُنْتُ أَوْمَلُ
جَعَلْتَ جَزَائِي غِلْظَةً وَفَظَاطَةً	كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمُنْعَمُ الْمُتَفَضِّلُ
فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرَعْ حَقَّ أَبُوتِي	فَعَلْتَ كَمَا الْجَارُ الْمُجَاوِرُ يَفْعَلُ
فَأَوْلَيْتَنِي حَقَّ الْجَوَارِ وَلَمْ تَكُنْ	عَلَيَّ بِمَالِي دُونَ مَالِكَ تَبْخَلُ

فَحِينَئِذٍ أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ بِتَلَايِبِ ابْنِهِ ، وَقَالَ : (أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَيِّكَ) ^(٩) ..

(١) غَذَوْتُكَ : رَبَّيْتُكَ ، وَأَطَعْتُكَ ، وَأَسْقَيْتُكَ .
(٢) يَافِعًا : شَابًا .
(٣) السَّقَمُ : المرض .
(٤) تَهْمُلُ : تَفِيضُ بِالْدموع .
(٥) رواه الطبراني في المعجمين الأوسط والصغير ..
(٦) مُتْنِكَ : أَنْفَقْتُ عَلَيْكَ وَكَفَلْتُكَ .
(٧) عَلَّلُ بَعْدَ نَهْلٍ : الشُّرْبُ بَعْدَ الشُّرْبِ تَبَاعًا .
(٨) أَتَمَلُّ : لَا أَهْدَأُ مِنَ الْقَلْق .
(٩) الرَدَى : الْهَلَاكُ .

صِلَّة الرَّحِمِ

الرَّحِمُ فِي الْأَصْلِ هُوَ مُسْتَوْدِعُ الْجَنِينِ فِي أَحْشَاءِ الْحَبْلِ .. وَيُطْلَقُ عَلَى ذَوَى الْقُرْبَى الَّذِينَ اشْتَرَكُوا فِي رَحِمٍ وَاحِدَةٍ مِثْلَ الْإِخْوَةِ ، يَلِيهِمْ أَبْنَاءُ الْخَالِ ، وَالْخَالَاتُ ، وَأَبْنَاءُ الْعَمِّ ، وَالْعَمَّاتُ ، لِأَنَّ الْأُمَّ وَالْخَالَاتِ اشْتَرَكْتَا فِي رَحِمٍ وَاحِدَةٍ ، وَكَذَلِكَ : الْأَبُ وَالْعَمُّ .. وَهَكَذَا ، فَإِنَّ الرَّحِمَ دَرَجَاتٌ بِحَسَبِ دَرَجَةِ الْقُرْبِ .. وَصِلَّةُ الرَّحِمِ مِنْ أَهَمِّ الْأُمُورِ فِي الْإِسْلَامِ .. وَتَأْتِي أَهَمِّيَّتُهَا بَعْدَ أَهَمِّيَّةِ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ مُبَاشَرَةً .. فَقَدْ جَاءَ فِي سُورَةِ «النِّسَاءِ» الْأَمْرُ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَطَاعَتِهِ ، ثُمَّ الْأَمْرُ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ ، ثُمَّ الْأَمْرُ بِصِلَةِ الرَّحِمِ : (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى) ^(١) .. مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَوَى الْقُرْبَى لَهُمْ حَقُوقٌ يَجِبُ أَنْ تُؤَدَّى فِي الدُّنْيَا ، وَهِيَ : صِلَةُ الرَّحِمِ ، وَيَعْنِي هَذَا : إِیْصَالُ كُلِّ خَيْرٍ إِلَيْهِمْ ، وَدَفْعُ كُلِّ شَرٍّ عَنْهُمْ ، بِحَسَبِ الْإِسْطِطَاعَةِ ، وَقَدْرِ الطَّاقَةِ .. وَهَذِهِ الصِّلَةُ تَتَنَوَّعُ بِحَسَبِ حَالِ الرَّحِمِ الْمُوصُولَةِ : فَإِنْ كَانَ الْقَرِيبُ فَقِيرًا فَإِنَّ صِلَتَهُ تَكُونُ بِالمُسَاعَدَةِ بِالمَالِ ، وَالبِنَى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ : (الصَّدَقَةُ عَلَى الْمَسْكِينِ صَدَقَةٌ ، وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ : صَدَقَةٌ ، وَصِلَةٌ) ^(٢) .. وَإِنْ كَانَ الْقَرِيبُ مَظْلُومًا فَصِلَتُهُ : بِنَصْرِهِ ، وَتَأْيِيدِهِ ، وَمَحَاوَلَةُ رَفْعِ الظُّلْمِ عَنْهُ .. وَإِنْ كَانَ مَرِيضًا فَصِلَتُهُ : بِالزِّيَارَةِ وَالتَّخْفِيفِ عَنْهُ ، وَتَحْسِينِ ظَنِّهِ بِاللَّهِ ، وَابْتِغَاءِ الْعِلَاجِ لَهُ ، وَمُبَاشَرَةِ أَحْوَالِهِ ، وَالْعَنَایَةِ بِأَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ الَّذِينَ مَنَعَهُ مَرَضُهُ مِنْ رِعَايَتِهِمْ .. وَإِنْ كَانَ ضَالًّا فَصِلَتُهُ : بِمَحَاوَلَةِ هِدَايَتِهِ ، وَنُصْحِهِ ، وَإِرْشَادِهِ بِالرَّفْقِ ،

^(٢) رواه الترمذی کتاب الزکاة .

^(١) سورة النساء آية ٣٦ .

واللين ، والحب ، والحنان ، دون تعنيف أو هجر .. والقرآن مليء بأمثلة ذلك ، كنُصَح إبراهيم (عليه السلام) لأبيه : (يَتَأْتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا)^(١) .. ولَمَّا لَمْ يَسْتَجِب الأب لنصح ابنه قال له الابن ، كما يحكى القرآن : (سَلَّمَ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا)^(٢) ..

وهكذا تتنوع صلة الرحم بحسب حال ذى الرحم .. مع ملاحظة أن المودة المتبادلة بين الإخوة والأقارب ، وإن كانت من أخلاق الإسلام ومطلوبة ، إلا أن صلة الرحم أمر آخر ، إذ يقول النبي (ﷺ) : (لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِي ، وَلَكِنَّ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا)^(٣) .. أى إن مكافأتك لإحسان ذوى القربى بالإحسان لا تُعَدُّ من باب صلة الرحم .. وإنما الصلة بمعنى : الوصل ، أى وصل ما قطع وانفصم .. ولذلك كان من أعلى الأخلاق أن تعفو عمن ظلمك ، وأن تصل من قطعك ، وأن تُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ ، وهو خُلُقُ النبي (ﷺ) الذى أُمِرَ به فى قول الحق تبارك وتعالى : (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)^(٤) .. وكلمة « الرحم » مُشْتَقَّةٌ مِنْ كلمة « الرَّحْمَة » ، وهى أيضا اشتقاق من اسم الله تبارك وتعالى « الرحمن » .. وقد جاء فى الحديث القدسى قول الله عز وجل للرحم : (خَلَقْتُكَ بِيَدِي ، وَشَقَقْتُ لَكَ اسْمًا مِنْ اسْمِي ، وَقَرَّبْتُ مَكَانَكَ مِنِّي .. وَعِزَّتِي وَجَلَالِي : لِأَصْلِنَ مَنْ وَصَلَكَ ، وَلَأَقْطَعَنَّ مَنْ قَطَعَكَ ، ثُمَّ لَا أَرْضَى حَتَّى تَرْضَى)^(٥) .. ويدل ذلك على أن لذوى الرحم حقوقًا ، إذا لم ينالوها فى

(١) سورة مريم آية ٤٥ . (٢) سورة مريم آية ٤٧ . (٣) رواه البخارى كتاب الأدب .

(٤) سورة الأعراف آية ١٩٩ . (٥) رواه الحكيم عن ابن عباس (رضى الله عنهما) .

الدنيا طالبوا بها يوم القيامة ، وأن رضا الله تبارك وتعالى متوقف على رضا الرَّحِمِ
التي حين خلقها الله استجارت من القطيعة ، كما يحكى لنا النبي (ﷺ) بقوله : (إِنْ
اللَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ قَالَتِ الرَّحِمُ : هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ
الْقَطِيعَةِ ، قَالَ : نَعَمْ ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ ؟
قَالَتْ : بَلَى يَا رَبِّ ، قَالَ : فَهُوَ لَكَ)^(١) ..

وصلة الله تبارك وتعالى للعبد : هدايته ، ورحمته ، وقطيعة الله تبارك وتعالى :
غضبه ، وعذابه .. فمن منا يحتمل ذلك ؟! .. ويشير القرآن إلى أهمية الرَّحِمِ في كثير
من المواضع .. فمثلاً حين غضب « موسى » (ﷺ) من أخيه « هارون » (ﷺ)
وعاتبه على عدم اتّباعه - حين اتّخذ قومه العجل - استدر « هارون » (ﷺ)
عطف أخيه بتذكيره بصلة الرَّحِمِ ، فقال له ، كما يحكى القرآن الكريم : (يَبْنُومَ لَا
تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي)^(٢) .. ونلاحظ أنه لم يخاطبه بقوله : يا أخى ، وإنما بقوله
(يَبْنُومَ) أى : يا مَنْ شاركتنى فى رَحِمٍ واحدة .. وكذلك حين دخلت أمُّ هانئ
بنت أبى طالب على رسول الله (ﷺ) بعد فتح مكة تشكو أخاها عليّاً بن أبى طالب
لم تقل : (إِنَّ أَخِي) ، ولم تقل : (إِنَّ عَلِيّاً) ، وإنما قالت : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، زَعَمَ
ابْنُ أُمِّي أَنَّهُ قَاتِلُ رَجُلٍ قَدْ أَجْرْتُهُ !! .. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : (قَدْ أَجَرْنَا مَنْ
أَجَرْتَ يَا أُمَّ هَانِي)^(٣) .. أى : أدخلناه فى جوارنا ، وبسطنا عليه حمايتنا .. وحين
دخل النبي (ﷺ) على ابنته فاطمة (رضى الله عنها) يوماً ، ورآها غاضبة من زوجها

(١) رواه البخارى كتاب الأدب . (٢) سورة طه آية ٩٤ . (٣) رواه البخارى كتاب الصلاة .

- الذى خرج إلى المسجد تاركاً بيته - سأها قائلاً : (أَيْنَ ابْنُ عَمِّكَ ؟) ولم يقل : (أَيْنَ زَوْجُكَ ؟) .. وكأنه يذكّرُها بصلة الرَّحِمِ ، تلطيفاً للموقف .. واستدراجاً لعاطفتها .. فقالت : (كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ فَغَاضَبَنِي فَخَرَجَ فَلَمْ يَقُلْ ^(١) عِنْدِي) .. فوجده الرسول (ﷺ) مضطجعاً فى المسجد قد سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ وَأَصَابَهُ تُرَابٌ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) يَمْسَحُهُ عَنْهُ وَيَقُولُ : (قُمْ أَبَا تُرَابٍ .. قُمْ أَبَا تُرَابٍ) ^(٢) .. ولم يُعَفِّهِ ، ولم يسأله عن سبب المغاضبة ، أو يتدخل بين الزوجين .. وفرح علىُّ بنُ أبى طالب بهذه الكُنْيَةِ ، وكان يسعدُ جداً بأن يُنادى : (يا أَبَا تُرَابٍ) .. وفى قصة الغلام الذى قتله « الْخَضِرُ » (عليه السلام) يحكى لنا القرآن الكريم قوله : (فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا) ^(٣) .. أى : أطهرَ منه ، وأصلحَ ، وأشدَّ رحمةً وبرًّا بهما .. وكذلك يُبين ربنا - تبارك وتعالى - أهمية حقوق ذوى الأرحام بقوله : (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ^(٤) ..

ومن صِلَةِ الرَّحِمِ الواجبة : الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، فلا يصح أن يترك الأخ أخاه بعيداً عن الله .. أو يرى ذوى رَحِمِهِ على مَعْصِيَةٍ ، ولا يُقدِّم لهم النَّصِيحَ بِالْحِكْمَةِ ، والموعِظَةَ الْحَسَنَةَ .. فرُبُّنا تبارك وتعالى يوضِّح ذلك بقوله : (وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) ^(٥) .. ويُنشِئ على « إسماعيل » (عليه السلام) بقوله : (وَكَانَ

(١) القيلولة : النوم فى منتصف النهار . (٢) رواه البخارى كتاب الصلاة . (٣) سورة الكهف آية ٨١ .

(٤) سورة الأنفال آية ٧٥ . (٥) سورة طه آية ١٣٢ .

يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا^(١) ..

وقد يتعلّل بعض الناس بمشاكل الحياة وهمومها في عدم سؤالهم عن ذوى القربى ، ومودّتهم .. ولكن إلى جانب ذلك ، فهناك من الوسائل المتاحة - الآن - ما لم يكن متاحاً من قبل ، مثل : إرسال البرقيات للتهنئة ، أو العزاء ، وإرسال الورود إلى المرضى في بيوتهم ، أو مراكز علاجهم ، وكذلك الاتصال بالهاتف ، وإرسال الخطابات .. وما إلى ذلك مما يُوجد الألفة ، والمحبّة ، ودوام الصلّة ..

هذا .. ولا يصحّ مقاطعة ذوى الرّحم مطلقاً إلّا في حالة واحدة : وهى أن يكون ذو الرحم فاجراً ، لا يُؤمن شرّه ، ولا يُجدى معه نصّح ، وإرشاد ، ولا تزيده الصلّة إلا بغياً ، وعُلوّاً ، وعُدواناً .. ومع ذلك يجب الدعاء له بالهداية ، والاستغفار له .. ولنا فى « إبراهيم » (عليه السلام) أسوة حسنة ، إذ قال لأبيه - بعد ما يئس منه - كما يحكى القرآن : (سَلَّمَ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا)^(٢) ..

هذا .. وقد قال النبى (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسَاطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ^(٣) : فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ)^(٤) ..



^(٢) سورة مريم آية ٤٧ .

^(١) سورة مريم آية ٥٥ .

^(٣) ينسأ له فى أثره : يظل ذكره بين الناس حتى بعد وفاته .

^(٤) رواه مسلم كتاب البر والصلّة .

رِعايَةُ الْيَتِيمِ

« اليتيم » : هو مَنْ فَقَدَ الْآبَ .. وَلَا يُتِمُّ بَعْدَ الْبُلُوغِ .. وَالْيَتِيمُ فِي الْإِنْسَانِ بِفَقْدِ الْآبِ ، وَالْيَتِيمُ فِي الْحَيَوَانِ بِفَقْدِ الْأُمِّ .. وَرِعايَةُ الْيَتِيمِ مِنْ أَهَمِّ الْأُمُورِ الَّتِي أَوْصَى بِهَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) وَبَشَّرَ عَلَيْهَا بَعْلُوَّ الدَّرَجَاتِ فِي الْجَنَّةِ ، فَقَدْ قَالَ (ﷺ) : (أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ) .. وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى ، وَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا قَلِيلًا ^(١) .. وَيَقُولُ أَيْضًا (ﷺ) : (مَنْ قَبَضَ يَتِيمًا مِنْ بَيْنِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ ، إِلَّا أَنْ يَعْمَلَ ذَنْبًا لَا يُغْفَرُ لَهُ) ^(٢) .. وَمَعْلُومٌ أَنَّ الَّذِي لَا يُغْفَرُ مِنَ الذُّنُوبِ هُوَ الشِّرْكُ فَقَطْ .. وَيَقُولُ (ﷺ) أَيْضًا : (مَنْ عَالَ ثَلَاثَةَ مِنْ الْيَتَامِ كَانَ كَمَنْ قَامَ لَيْلَهُ ، وَصَامَ نَهَارَهُ ، وَغَدَا وَرَاحَ شَاهِرًا سَيْفَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَكَنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ أَخَوَيْنِ كَهَاتَيْنِ أُخْتَانِ) .. وَالصَّقَ إصْبَعِيهِ : السَّبَّابَةُ وَالْوُسْطَى ^(٣) ..

وَيَبِينُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ خَطُورَةَ الْإِسَاءَةِ إِلَى الْيَتِيمِ فَيَقُولُ : (أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْأَيْدِي ۖ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۖ وَلَا تَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ) ^(٤) .. وَيَمْتَنُّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى حَبِيبِهِ الْمُصْطَفَى (ﷺ) ، وَيُوصِيهِ بِالْيَتِيمِ فَيَقُولُ : (أَلَمْ تَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى) ^(٥) .. (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ) ^(٦) ..

(١) رواه أحمد باقى مسند الأنصار .

(٢) رواه ابن ماجه كتاب الأدب .

(٣) سورة الضحى آية ٦ .

(٤) رواه الترمذى كتاب البر والصلة .

(٥) سورة الماعون الآيات من ١ : ٣ .

(٦) سورة الضحى آية ٩ .

وقد حَرَّمَ الله تبارك وتعالى أكل أموال الناس عامة بالباطل في قوله : (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) ^(١) ومع ذلك خصَّ مال اليتيم بالذكر ، وشدد في تحريم أكله بالباطل بقوله : (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) ^(٢) ..

وقد كان من شدَّة خوف الصحابة ، وحرصهم أن امتنعوا عن خلط أموالهم بأموال اليتامى الذين يكفلونهم ، مما عرَّضهم لمشقة شديدة ، وعرض أموال اليتامى للتجميد ، وعدم النماء ، فسأل بعضهم رسول الله (ﷺ) عن ذلك ، وهل يمكن أن يتاجروا بأموال اليتامى لتنميتها لهم ، وإصلاحها ، فنزل قول الله عز وجل : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ) ^(٣) ..

وُيَنِّه رَبُّنا تبارك وتعالى الأوصياء على اليتامى فيقول : (وَءَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا) ^(٤) ..
ويأمر سبحانه وتعالى الأوصياء على اليتامى : برعايتهم ، وتعليمهم ، واختبار حسن تدبيرهم ، حتى يقوموا هم بإدارة أموالهم ، بعد استلامها كاملة غير منقوصة ، ويحذر من استغلال صغر سنِّهم لأكل أموالهم ، ويجيز للفقير أن يأكل من مال اليتيم مقابل

^(٣) سورة البقرة آية ٢٢٠ .

^(٢) سورة النساء آية ١٠ .

^(١) سورة البقرة آية ١٨٨ .

^(٤) سورة النساء آية ٢ .

إدارته ، وتنميته ، ويطلب من الغني أن يُدير مال اليتيم بغير أجر فيقول : (وَابْتَلُوا
الْيَتِمَ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ^ط وَلَا
تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا^ط وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ^ط وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ
بِالْمَعْرُوفِ^ط فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا)^(١) ..

وروى أن رجلاً شكّا إلى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) قَسْوَةَ قَلْبِهِ ، فَقَالَ لَهُ : (إِنْ أَرَدْتَ
تَلِينَ قَلْبِكَ : فَأَطْعِمِ الْمَسْكِينِ ، وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ)^(٢) .. ويقول (ﷺ) : (إِنْ
الْيَتِيمَ إِذَا بَكَى اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لُبْكَائِهِ ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَلَائِكَتِهِ : مَنْ
أَبَكَى عَبْدِي وَأَنَا قَبَضْتُ أَبَاهُ وَوَارِثَتُهُ فِي التُّرَابِ ؟ فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا ، لَا عِلْمَ لَنَا ،
فَيَقُولُ الرَّبُّ تَعَالَى : اشْهَدُوا ، لِمَنْ أَرْضَاهُ أَرْضِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)^(٣) .. ويقول
(ﷺ) أيضاً : (لَا يَلِي أَحَدٌ مِنْكُمْ يَتِيمًا فَيُحْسِنُ وَلَايَتَهُ وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ إِلَّا
كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ حَسَنَةٍ ، وَمَحَا عَنْهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَيِّئَةٍ ، وَرَفَعَ لَهُ بِكُلِّ
شَعْرَةٍ دَرَجَةً)^(٤) .. وروى عن النبي (ﷺ) أنه قال : (أَيُّمَا مُسْلِمٍ ضَمَّ يَتِيمًا بَيْنَ
أَبْوَيْنِ مُسْلِمَيْنِ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ حَتَّى يَسْتَغْنِيَ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْبَتَّةَ)^(٥) ..
وحين قال (ﷺ) : (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤَبِّقَاتِ) ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا هُنَّ ؟
قَالَ : (الشِّرْكُ بِاللَّهِ ، وَالسَّحَرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ،

(١) سورة النساء آية ٦ . (٢) رواه أحمد باقى مسند المكثرين .

(٣) رواه أبو نعيم عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) . (٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان .

(٥) رواه أحمد مسند البصريين .

وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ
 الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ (١) .. ويقول (ﷺ) : (مَنْ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ يَتِيمٍ
 تَرَحُّمًا ، كَانَتْ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ تَمُرُّ يَدُهُ عَلَيْهَا حَسَنَةٌ) (٢) .. ويقول (ﷺ) أَيْضًا :
 (خَيْرُ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ : بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُحْسَنُ إِلَيْهِ .. وَشَرُّ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ :
 بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُسَاءُ إِلَيْهِ) (٣) ..



(٢) رواه ابن المبارك عن ثابت بن العجلان .

(١) رواه البخارى كتاب الوصايا .

(٣) رواه ابن ماجه كتاب الأدب .

رِعايَةُ الْفُقَرَاءِ

قال رسول الله (ﷺ) : (أَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ : يَا مُوسَى ، إِنَّ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَوْ سَأَلَنِي الْجَنَّةَ بِحَذَائِيرِهَا لَأَعْطَيْتُهُ ، وَلَوْ سَأَلَنِي غِلَافَ سَوَاطِلٍ لَمْ أُعْطِهِ .. لَيْسَ ذَلِكَ عَنْ هَوَانٍ لَهُ عَلَيَّ ، وَلَكِنْ أُرِيدُ أَنْ أَدَّخِرَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ كَرَامَتِي ، وَأَحْمِيهِ مِنَ الدُّنْيَا كَمَا يَحْمِي الرَّاعِي غَنَمَهُ مِنْ مَرَاعِي السُّوءِ .. يَا مُوسَى ، مَا أَلْجَأَتْ الْفُقَرَاءَ إِلَى الْأَغْنِيَاءِ أَنْ خَزَائِنِي ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ ، وَأَنْ رَحِمْتِي لَمْ تَسْغُهُمْ ، وَلَكِنْ فَرَضْتُ لِلْفُقَرَاءِ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ مَا يَسْغُهُمْ ، أَرَدْتُ أَنْ أَبْلُو الْأَغْنِيَاءَ : كَيْفَ مُسَارَعَتُهُمْ فِيمَا فَرَضْتُ لِلْفُقَرَاءِ فِي أَمْوَالِهِمْ .. يَا مُوسَى ، إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ أَتَمَمْتُ عَلَيْهِمْ نِعْمَتِي ، وَأَضَعْتُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا لِلْوَحْدَةِ عَشْرُ أَمْثَالِهَا .. يَا مُوسَى ، كُنْ لِلْفُقَرَاءِ كَنْزًا ، وَلِلضَّعِيفِ حِصْنًا ، وَلِلْمُسْتَجِيرِ غِيَاً ، أَكُنْ لَكَ فِي الشَّدَّةِ صَاحِبًا ، وَفِي الْوَحْدَةِ أُنَيْسًا ، أَكَلُوكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ)^(١) ..

والحديث يوضح أن الغنى والفقر بيد الله .. فليس للغنى فضل في كثرة ماله ، وليس للفقير ذنب في قلة ماله ، وإنما الله تبارك وتعالى يبلو الأغنياء بالفقراء ، ويبلو الفقراء بالأغنياء ، هل يشكر الغنى ، ويؤدّي حق الفقراء في ماله ؟ وهل يقنع الفقير ، ولا يحسد الغنى على ماله ؟ .. والله تبارك وتعالى قدّر الأقوات من قبل خلق الناس ، فمن العباد من يصلح له الغنى ، ولو أفقره الله لفسد حاله .. ومن العباد من يصلح له الفقر ، ولو أغناه الله لفسد حاله .. ولو أخرج الأغنياء زكاة أموالهم كما فرضها

^(١) رواه ابن النجّار عن أنس (رضي الله عنه) .

الله ، ما بقى فى الأمة فقير ، ولا محتاج .. إذ إن فى أموال الأغنياء ما يسع الفقراء ، فقد خلق الله الخلق ، وأحصى العدد ، وقسم الأرزاق ، ولم ينسَ أحداً .. كل ما هناك أن من الناس من يأتيه رزقه مباشرة نتيجة : عمل ، أو زراعة ، أو صناعة .. ومنهم من يأتيه رزقه من خلال صدقة الأغنياء ، وإنفاقهم .. فمن منع زكاة ماله ، فكأنما سرق من الفقير ماله ، وسلبه حقه ، فيطالبه الله به يوم القيامة ، حيث لا درهم ، ولا دينار .. وربنا تبارك وتعالى يُشَيِّ على الذين يُؤْثِرُونَ الحق فيقول : (وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ)^(١) .. ويتأكد حق الفقراء فى أموال الأغنياء بقول الحق تبارك وتعالى : (وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ)^(٢) .. إذا فالمال مال الله ، والغنى مُسْتَخْلَفٌ فيه ، ولا شك أنه مسئول يوم القيامة عما استخلفه الله فيه إذا لم يؤدِّ الحق الذى عليه ، بالإضافة إلى أنه مُعَرَّضٌ فى الدنيا للعقوبة بسلب ماله ، فالله تبارك وتعالى يقول : (وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَفْسِهِ ۖ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ)^(٣) ..

ويحدثنا « أبو ذرٍّ الغفارى » (رضي الله عنه) فيقول : قال رسول الله (ﷺ) : (إِنْ الْمُكْثَرِينَ ^(٤) هُمُ الْمُقْلُونَ ^(٥) يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ خَيْرًا ^(٦) فَفَنَحَ ^(٧) فِيهِ يَمِينَهُ ، وَشِمَالَهُ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ ، وَوَرَاءَهُ ، وَعَمِلَ فِيهِ خَيْرًا)^(٨) .. ويبيِّن النبى (ﷺ)

(١) سورة المعارج الآيتان ٢٤ ، ٢٥ . (٢) سورة الحديد آية ٧ . (٣) سورة محمد آية ٣٨ .

(٤) المكثرين : الأغنياء . (٥) المقلون : الأقل ثواباً . (٦) أى مالا .

(٧) فَنَحَ : أي أعطى كثيراً بغير تكلف . (٨) رواه البخارى كتاب الرقاق .

حقيقة المال فيقول : (يَقُولُ ابْنُ آدَمَ : مَالِي مَالِي .. وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا : مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ)^(١) ، وكان المال الذي ينفع صاحبه : هو الذي يُنْفِقُهُ على الفقراء ، أما ما سوى ذلك : فهو ذاهب ولا بقاء له .. ويقول النبي (ﷺ) : (مَثَلُ ابْنِ آدَمَ وَمَالِهِ وَعَمَلِهِ مَثَلُ رَجُلٍ لَهُ ثَلَاثَةُ أَخْلَاءَ ، قَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ : أَنَا مَعَكَ مَا دُمْتَ حَيًّا ، فَإِذَا مِتَّ فَلَسْتُ مِنِّي وَلَا أَنَا مِنْكَ .. فَذَلِكَ مَالُهُ .. وَقَالَ الْآخَرُ : أَنَا مَعَكَ ، فَإِذَا بَلَغْتَ إِلَى قَبْرِكَ فَلَسْتُ مِنِّي وَلَسْتُ لَكَ .. فَذَلِكَ وَلَدُهُ .. وَقَالَ الْآخَرُ : أَنَا مَعَكَ حَيًّا وَمَيِّتًا .. فَذَلِكَ عَمَلُهُ)^(٢) .. ويقول (ﷺ) : (تَعَسَ^(٣) عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدَّرْهِمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ^(٤) ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ ، تَعَسَ وَانْتَكَسَ^(٥) ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَقَشَ^(٦))^(٧) .. ويقول : (يَهْرُمُ ابْنُ آدَمَ ، وَتَشِبُّ مِنْهُ اثْنَتَانِ : الْحَرِصُ عَلَى الْمَالِ ، وَالْحَرِصُ عَلَى الْعُمُرِ)^(٨) .. وَيَبِينُ (ﷺ) وظيفة المال ، ومدى حب الإنسان له ، وأنه لا يشبع منه ، فيقول راويًا عن رَبِّ الْعِزَّةِ سبحانه : (إِنَّا أَنْزَلْنَا الْمَالَ لِإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَلَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادٍ لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِ ثَانٍ ، وَلَوْ كَانَ لَهُ وَادِيَانِ لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِمَا ثَالِثٌ ، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ

(١) رواه مسلم كتاب الزهد .

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان .

(٣) تعس : سقط .. والمراد هنا : هلك .

(٤) الخميصة : ثوب مخطط من حرير أو صوف .

(٥) انتكس : أى إذا قام من سقطته عاوده السقوط .

(٦) وإذا شيك فلا انتقش : أى إذا دخلت فيه شوكة لم يجد من يخرجها بالمنقاش .. وفيه إشارة إلى الدعاء

عليه بما يشبطه عن السعي والحركة .

(٨) رواه مسلم كتاب الزكاة .

(٧) رواه البخارى كتاب الجهاد والسير .

ابْنِ آدَمَ إِلَّا الثَّرَابُ ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ (١) ..

وقد كان رسول الله (ﷺ) سخيًّا جوادًا ، فعن أنسٍ (رضي الله عنه) أنه قال : (مَا سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أُعْطَاهُ) (٢) .. وعنه (رضي الله عنه) أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ (ﷺ) ، فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ : (أَيُّ قَوْمٍ ، أَسْلِمُوا .. فَوَاللَّهِ : إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لَا يَخَافُ الْفَاقَةَ) (٣) (٤) ..

ويحثُّ النبي (ﷺ) على الإنفاق على الفقراء فيقول : (السَّخِيُّ : قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ ، قَرِيبٌ مِنَ الْجَنَّةِ ، قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ ، بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ .. وَالْبَخِيلُ : بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ ، بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ ، بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ ، قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ .. وَلَجَاهِلٌ سَخِيٌّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عَالِمٍ بَخِيلٍ) (٥) .. والله تبارك وتعالى يعدُّ المنفقين بالإكثار من أموالهم فيقول : (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) (٦) ..

ولأهمية رعاية الفقراء جعل الله تبارك وتعالى إطعامهم ، وكسوتهم كفارةً لليمين (الْقَسَم) ، كما جاء في قوله تعالى : (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّرتُهُ ۖ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ) (٧) .. وكذلك جعل الإطعام كفارةً للمُحْرَم إذا قتل صيدًا ، فقال : (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ

(١) رواه أحمد مسند الأنصار . (٢) رواه مسلم كتاب الفضائل . (٣) الفاقة : الحاجة والفقر .

(٤) رواه أحمد باقي مسند المكثرين . (٥) رواه الترمذي كتاب البر والصلة . (٦) سورة سبأ آية ٣٩ .

(٧) سورة المائدة آية ٨٩ .

تَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ) (١) ..

وكذلك يحل الإطعام محل الصيام في بعض من الكفارات ، مثل كفارة الظُّهَارِ ، وغيرها : (فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ^ط فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا) (٢) ..

وهو أيضاً يكون عوضاً عن صيام رمضان لغير القادرين عليه ، كما جاء في قوله تعالى : (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ^ط فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ^ط فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ^ج وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ^ط إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (٣) ..

وإطعام الفقراء ابتغاء وجه الله تعالى من أسباب النجاة يوم القيامة ، كما جاء في قوله عز وجل : (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿٢﴾ فَوَقَّهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا) (٤) ..

والإطعام كذلك من أسباب دخول الجنة بسلام ، كما جاء في قول رسول الله (ﷺ) : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، أَفْشُوا السَّلَامَ ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَصَلُّوا الأَرْحَامَ ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ) (٥) ..

(٣) سورة البقرة آية ١٨٤ .

(٢) سورة المجادلة آية ٤ .

(١) سورة المائدة آية ٩٥ .

(٤) سورة الإنسان الآيات من ٩ : ١١ . (٥) رواه ابن ماجه كتاب الأطعمة .

حُسْنُ الْجَوَارِ

يقول الله تعالى : (وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ^ط وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ^ط إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا) ^(١) ..

وقد بيّنت الآية الكريمة أنواعاً من الجوار : فهناك الجار القريب أى من ذوى القُربى .. والجار المُلاصق فى السكن .. وكذلك الجار المؤقت ، وهو المصاحب فى طريق ، أو الجار فى وسائل المواصلات المختلفة .. وأوجبَت الإحسان إلى الجميع .. وخُتِمَت الآية بِخَتَامٍ يُشْعِرُ أن عدم الإحسان إلى الجار ، أو الإساءة إليه لا يَصُدْرَانِ إلا من مُخْتَالٍ فَخُورٍ قد امتلأ قلبه بالكِبَرِ والاستعلاء على غيره ..
والوصية بالجار جاءت فى أحاديث كثيرة للنبي (صلى الله عليه وسلم) منها قوله : (مَا زَالَ جَبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورَّثُهُ) ^(٢) ..

ويحذّر النبي (صلى الله عليه وسلم) من إيذاء الجار بأى نوع من أنواع الأذى فيقول : (وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ) قِيلَ : وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : (الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقِهِ) ^(٣) .. ^(٤) وحين قال رجلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ فُلَانَةَ يُذَكِّرُ مِنْ كَثَرَةِ صَلَاتِهَا ، وَصِيَامِهَا ، وَصَدَقَتِهَا ، غَيْرَ أَنَّهُ تُوذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا !! قَالَ : (هِيَ فِي النَّارِ) ^(٥) ..

^(٣) بوايقه : شروره .

^(٢) رواه البخارى كتاب الأدب .

^(١) سورة النساء آية ٣٦ .

^(٥) رواه أحمد باقى مسند المكثرين .

^(٤) رواه البخارى كتاب الأدب .

وكذلك يُبَيِّنُ (ﷺ) أن على الجار أن يَتَفَقَّدَ أحوالَ جاره ، فهو أَوْلَى بِمَعْرُوفِهِ ،
وَرِعَايَتِهِ ، فيقول : (مَا آمَنَ بِي مِنْ بَاتٍ شَبَعَانَ ، وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ
يَعْلَمُ بِهِ)^(١) ..

ومن المؤسف والمحزن أننا نرى بعض الناس في زماننا هذا لا يُراعون حُسن
الجوار .. وَيَقَعُونَ فيما يُغْضِبُ اللهَ ورسوله من إيذاء الجار بمختلف الوسائل ، ولا
يُراعون أحواله أو ظروفه .. كَمَنْ يستخدم المذياع بأسلوب يزعج جيرانه الذين قد
يكون فيهم : المريض ، والشيخ الكبير ، والعابد الْمُتَهَجِّد ، والطالب الذى يستذكر
دروسه ، وكذلك ما يحدث فى المآتم من إقامة السراقات ، واستخدامٍ لِمُكَبَّرَاتِ
الصوت بأسلوب يزعج أهل الحي جميعاً ، بل ويوهمهم بالإثم ، لأنهم لا يستطيعون
أن يتفرَّغُوا لسماع القرآن استجابة لأمر الحق تبارك وتعالى : (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ
فَأَسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)^(٢) .. بل والأدهى من ذلك أن الكثيرين ممن
يقرأون القرآن فى هذه المناسبات لا يُحَسِّنُونَ قراءته ، ولا التقيُّد بأحكام تلاوته ،
ومثل ما يحدث فى المآتم يحدث فى الأفراح .. وقد ابتدع بعض الجهلاء بدعة سيئة
مهينة ألا وهى « زفة العروس » فى الطرقات ، وأسفل البيوت ، دون خجل ، أو
حياء ، أو مراعاة للجيران الذين قد يكون منهم : الحزين ، والمريض .. إلخ ..

وكذلك مانراه من فعل بعض الشباب الذين يقودون سيَّاراتهم برعونة ،
وطيش دون مراعاة لسيَّارات يقودها كبار السنّ ، ولا يكتفون بيبث الرُّعْبَ ،

^(١) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير . ^(٢) سورة الأعراف آية ٢٠٤ .

وَالْخَوْفُ فِي نفوس المارة في الطريق ، وإنما تصدر من سيّاراتهم أصوات الأغاني
الهابطة ، والموسيقى الصاخبة ، وكأنهم قد ملكوا الطريق وحدهم ..
وهؤلاء المتصارعون على ركوب وسائل المواصلات العامة يدفعون كبار السنّ
والنساء دون رحمة أو شفقة ..

وأولئك النسوة اللاتي يقذفن بالفضلات والقمامة من النوافذ فتتجمع أسفل
البيوت مما يؤذى الجيران بالروائح الكريهة وانتشار الحشرات الضارة ..
وأولئك الذين يتلصصون على جيرانهم ، ويتتبعون عوراتهم ، ويفشون
سيئاتهم ، ويخفون حسناتهم ، ويتربصون بهم ..

كل أولئك مُعَرَّضُونَ لِغَضَبِ اللَّهِ تبارك وتعالى .. محرومون من شفاعته رسولهِ
(ﷺ) .. يُؤْخَذُ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ - إن كانت لهم حسنات - لأولئك الذين آذوهم ، أو
يحملون من سيئاتهم إن لم تكن لهم حسنات ، بالإضافة إلى ما يُصيبهم في الدنيا من
عُقوبات يشير إليها قول الرسول (ﷺ) : (مَنْ ضَارَّ ، أَضَرَ اللَّهُ بِهِ .. وَمَنْ شَاقَّ ،
شَاقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ)^(١) ..

وَيُرَوَّى أَنَّ سيدنا داود عليه السلام كان يقول : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَارٍ
عَيْنُهُ تَرَانِي ، وَقَلْبُهُ يَرْعَانِي ، إِنْ رَأَى خَيْرًا دَفَنَهُ ، وَإِنْ رَأَى شَرًّا أَشَاعَهُ)^(٢) ..
وكان من دعاء النبي (ﷺ) : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَارٍ السُّوءِ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ ،
فَإِنَّ جَارَ الْبَادِيَةِ يَتَحَوَّلُ)^(٣) ..

^(٢) رواه ابن أبي شيبة كتاب الدعاء .

^(١) رواه أبو داود كتاب الأقضية .

^(٣) رواه الحاكم في المستدرک عن أبي هريرة (رضي الله عنه) .

هذا .. ومن الأمور المكروهة أن يخرج الصبيان بفواكه يأكلونها أمام أولاد الجيران الذين لا يحصلون على مثلها .. أو يتباهون أمامهم بملابسهم الجديدة ، أو باللَّعَب .. وكذلك ما يحدث في بعض المدارس من حضور أولاد وهم يحملون معهم ما لذَّ وطاب من المأكولات يأكلونها أمام المحرومين فيتعرضون للحسد والكرهية ، بالإضافة إلى اعتيادهم التفاخر والزَّهو من الصَّغَرِ ، فيشبون على الأخلاق الرَّذيلة .. ولقد ورد النهي كذلك عن إيذاء الجار بدخان الطعام إلا أن تهديه منه ، أو تدعوه لِيَطْعَمَ مَعَكَ ..

وقد رُوِيَ عن الإمام « أَبِي حَنِيفَةَ النُّعْمَان » (رحمه الله تعالى) أنه كان يسكن إلى جواره رجل (يصلح الأحذية القديمة) يبيت ليله يعاقر الخمر ، ويدُقُّ الأحذية التي يصلحها ، ويغني بصوت مرتفع كرية :

أَضَاعُونِي وَأَيُّ فَتًى أَضَاعُوا لِيَوْمَ كَرِيهَةٍ وَسَدَادِ ثَغْرِ

وكان الإمام يَصْبِرُ على هذا الأذى ، ولا يُفْشِي سِرَّ جاره سَيِّئِ الْخُلُقِ .. وفي يوم من الأيام قُبِضَ على هذا الجار ، وسِيقَ إلى السِّجْنِ .. ولما افْتَقَدَ الإمامُ صوته وضوضاءه سأل عنه ، فعلمَ ما حَدَثَ له .. فذهبَ وتشفَّعَ له حتى أخرجوه من السجن .. فأخَذَ الإمامُ بِيَدِهِ ، وقال له : هَلْ أَضَعْنَاكَ يَا فَتًى ؟ فحَجَلَ الرجلُ أَشَدَّ الحَجَلِ ، وتابَ على يد الإمام - رحمه الله - وصَلَحَ حاله ..



الإصلاحُ بَيْنَ النَّاسِ

الإصلاحُ بين الناس من الأمور التي أمر بها الله ، ورسوله .. وهو من الأهمية بمكان ، إذ به يصبح المسلمون إخوة ، وتذهب عنهم الشحناء ، والتباغض ، والتدابر .. والله تبارك وتعالى يقول : (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ^ط وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) ^(١) .. ويأمر بالإصلاح بين فئات المسلمين وطوائفهم فيقول : (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ^ط فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) ^(٢) .. فالإصلاح مطلوب ، ولو وصل الأمر إلى القتال ، وهذا بشروط : العدل في الحكم .. والبعد عن الهوى .. وعدم التعصب لجنس ، أو لون ، أو قبيلة .. والإخلاص لله في ذلك .. وقد روى أن رسول الله (ﷺ) قال : (انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا) ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا ، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ ؟! قَالَ : (تَحْجُزُهُ - أَوْ تَمْنَعُهُ - مِنَ الظُّلْمِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ) ^(٣) .. وعلى الرغم من أن الكذب ممنوع إلا أن رسول الله (ﷺ) قد رخص فيه عند الإصلاح بين الناس ، فقال : (لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ ، فَيَنْمِي خَيْرًا ، أَوْ يَقُولُ خَيْرًا) ^(٤) .. وذلك لأهمية الإصلاح بين الناس .. وقد قال الله تبارك وتعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ

^(١) سورة الأنفال آية ١ . ^(٢) سورة الحجرات آية ٩ . ^(٣) رواه البخارى كتاب الإكراه .

^(٤) رواه البخارى كتاب الصلح .

فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ^(١) وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ^(٢) .. وهو أمر من الله تبارك وتعالى بالعمل على إزالة العداوة والبغضاء بين الناس ، والإصلاح بينهم ، حتى لا نكون كالذين قال الله تعالى في شأنهم : (تَحَسَّبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ)^(٣) ..

وعن الإصلاح بين الزوجين يقول الحق تبارك وتعالى : (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا^(٤) إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا)^(٥) .. ويقول : (وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ)^(٦) ..

وما من أمر من أوامر الله عز وجل يُطَاع ، إلا وله ثوابه جزاؤه ، فالإصلاح بين المتخاصمين مأمور به ، وللقائم به أجره وثوابه إذا ابتغى به وجه الله .. والنبى (ﷺ) يقول : (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ ، وَالصَّلَاةِ ، وَالصَّدَقَةِ ؟) قَالُوا : بَلَى .. قَالَ : (صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ .. فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ .. لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ)^(٧) .. نعم ، فإن التخاصم بين الناس ، والخلاف بينهم يورث العداوة ، والبغضاء ، ويوقع المتخاصمين فى : الغيبة ، والنميمة ، والسُّخْرِيَّةِ ، والسَّبَابِ ، والشتم .. وكلها من الكبائر التى تذهب بدين الإنسان .. والله تبارك وتعالى يقول : (يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ

(١) سورة الحجرات آية ١٠ . (٢) سورة الحشر آية ١٤ . (٣) سورة النساء آية ٣٥ .

(٤) سورة النساء آية ١٢٨ . (٥) رواه الترمذى كتاب صفة القيامة .

أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّنْ نِّسَاءِ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١) ..

وقد يصل الأمر إلى التقاضى ، وأكل المال بالباطل ، وشهادة الزور ، وإفناء العمر فى الكيد للخصم ، والتربُّص به ، وما إلى ذلك - ويقول أحد الحكماء : (لو تراحم الناسُ لاستراح القاضي ، ولبات كلُّ عن أخيه راضياً) ..

وقد تفضى الخصومة إلى توارث البغضاء والعداوة عن الآباء ، وينشأ الثأر ، فيقتل الناس بعضهم بعضاً أخذاً بالثأر ، وتُسفكُ دماء بريئة بغير ذنب ، أو جريرة .. ورسول الله (ﷺ) يقول : (إِذَا اتَّقَى الْمُسْلِمَانِ بَسِيفَتَهُمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ) قالوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا الْقَاتِلُ ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ ؟ قَالَ : (إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ) (٢) ..

ويشير الحق تبارك وتعالى إلى فضل الإصلاح بين الناس فيقول : (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنَ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) (٣) .. وبين النبي (ﷺ) ما يجب أن تكون عليه أُمَّتُه فيقول : (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ ، وَتَرَاحُمِهِمْ ، وَتَعَاطُفِهِمْ ، مَثَلُ الْجَسَدِ : إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) (٤) ..

(١) سورة الحجرات آية ١١ . (٢) رواه البخارى كتاب الإيمان . (٣) سورة النساء آية ١١٤ .

(٤) رواه مسلم كتاب البر والصلة .

ويقول (ﷺ) : (لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ .. يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا ، وَيُعْرِضُ هَذَا ، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ)^(١) .. ولما كان ذلك كذلك كان الإيقاع بين الناس من الكبائر التي تُهْلِكُ صاحبها ، وهو النميمة التي حذرنا رسول الله (ﷺ) منها .. والخصومة غالباً ما تنشأ بين الناس بسبب حُبِّ الدنيا ، والتنافسِ عليها ، مما يورث الحسد ، والحقد ، والكراهية ، والبغضاء .. وكل ذلك حذر منه النبي (ﷺ) بقوله : (لَا تَبَاغَضُوا ، وَلَا تَحَاسَدُوا ، وَلَا تَدَابَرُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا)^(٢) .. وإذا حدثت العداوة بين الناس : ضعفت الأمة ، وتششت وتفرقت قلوبها ، فصغرت في أعين أعدائها ، فغلبوها على أمرها ، كما أخبرنا النبي (ﷺ) مُنْذِرًا ، ومُحْذِرًا بقوله : (يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى^(٣) عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أَفْقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا) فَقَالَ قَائِلٌ : وَمِنْ قَلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ ؟! قَالَ : (بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ^(٤) السَّيْلِ ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ) فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا الْوَهْنُ ؟ قَالَ : (حُبُّ الدُّنْيَا ، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ)^(٥) .. نعم ، صدق رسول الله (ﷺ) فقد قيل : (إِنْ حُبَّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ) ..

وقبل أن يُهاجر النبي (ﷺ) إلى المدينة ، كان الأوس والخزرج في حروب مستمرة ، وعداوة ، مما أتاح الفرصة لليهود المدينة أن يسيطروا عليهم ، وأن ينشغلوا

(١) رواه مسلم كتاب البر والصلة .
(٢) رواه البخارى كتاب الأدب .

(٣) تداعى : اجتمعوا ، ودعا بعضهم بعضاً لقتالكم وسلبكم .

(٤) الغثاء : كل ما يحمل السيل من زبد ووسخ .
(٥) رواه أحمد وأبو داود .

بجمع المال ، فتكون لهم القوة والسلطان ، ويكثر عددهم ، وَيُنْشِئُوا الحصون الكثيرة : كحصون خيبر ، وقريظة ، وبنى النضير ، ويقل عدد العرب بالقتال ، ونشوء الثأر بينهم ، ويصرفوا جهودهم فيما يعود عليهم وعلى أبنائهم بالضرر ، فَتَرْمَلُ النساء ، ويتيمم الأطفال ، ويقلُّ المال في أيديهم ، ويسهل بعد ذلك استئصالهم .. وحين هاجر النبي (ﷺ) إلى المدينة ، وشرح الله صدور أهلها للإسلام ، أَلَّفَ الله بين قلوبهم ، وَاْمَنَّ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ فَقَالَ : (وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (١) .. ويأمرهم سبحانه وتعالى بالاعتصام به ، ويُذَكِّرُهُمْ بفضله عليهم ، وَيُحَذِّرُهُمْ مِنَ الْفُرْقَةِ فيقول : (وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (٢) .. ولعل الله تبارك وتعالى أن يُؤَلِّفَ بين قلوب المسلمين .. ولعلمهم ينتبهون إلى عبرة التاريخ ، وأن ما أصاب الأمة مِنْ وَهْنٍ ، وَضَعْفٍ ، وَتَمَزُّقٍ ما هو إلا بسبب الاختلاف ، والفُرْقَةِ ، والتنافس على الدنيا .. ولو عملوا بالنصيحة ، فأصلحوا ذات بينهم ، لتوحدت الجهود ، وتآلفت القلوب ، وما طمع فيهم أعداؤهم ، واجترعوا عليهم ، فاقتطعوا أرضهم ، ونهبوا ثرواتهم ..

(١) سورة الأنفال آية ٦٣ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٠٣ .

الأخوة في الله

يقول رسول الله (ﷺ) : (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ .. لَا يَظْلِمُهُ ، وَلَا يَخْذُلُهُ ، وَلَا يَحْقِرُهُ)^(١) .. وقد آخى النبي (ﷺ) بين المهاجرين والأنصار ، فتحققت هذه الأخوة عملاً ، حتى إن الله تبارك وتعالى ذكرها في كتابه العزيز ، مُثَبِّتاً على الأنصار الذين فتحوا قلوبهم ، وبيوتهم لإخوانهم من المهاجرين ، فقال : (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيْمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)^(٢) .. ولقد كان هذا الإيثار عن حُبٍّ ، ورغبة ، واختيار ، فقد اقتسم الأنصار أموالهم ، ودورهم ، وأرضهم مع إخوانهم من المهاجرين .. ومن أمثلة ذلك أن النبي (ﷺ) قد آخى بين « عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ » - وهو من المهاجرين - و« سَعْدُ بْنُ الرَّيِّعِ » - وهو من الأنصار - فقال « سَعْدُ ابْنُ الرَّيِّعِ » لـ « عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ » مِنْ ضِمْنٍ مَا قَالَهُ لَهُ : لِي مَالٌ ، فَصَفُّهُ لَكَ .. وَلِي امْرَأَتَانِ ، فَاَنْظُرْ أَحَبَّهُمَا إِلَيْكَ حَتَّى أَطْلُقَهَا ، فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا تَزَوَّجَهَا .. فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ ، دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ^(٣) .. فَذَهَبَ ، وَبَاعَ ، وَاشْتَرَى ، وَعَادَ بِفَضْلِ سَمْنٍ وَأَقِطَ^(٤) .. وما يُروى عن قصص الحب والإيثار بين المهاجرين والأنصار أكثر من أن يُحصى ..

(١) رواه مسلم كتاب البر والصلة . (٢) سورة الحشر آية ٩ . (٣) رواه أحمد باقى مسند المكثرين .

(٤) أقط : جُبْن .

ويشير القرآن الكريم إلى الأخوة في الله ، وأنها باقية لا تزول ، وذلك بقوله :
 (الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) ^(١) .. والخلة هي الحب
 المتين الصادق الذي يتخلل قلب المحب .. والآية تُشعرنا بأن كل حب في الدنيا
 زائل ، وقد ينقلب إلى عداوة يوم القيامة ما عدا الحب في الله ، فرسول الله (ﷺ)
 يقول : (الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ) ^(٢) .. وقد قيل : (ما
 كان لله دَامَ واتَّصَلَ ، وما كان لغير الله انْقَطَعَ وانفَصَلَ) ..

ويحكى القرآن الكريم مقالة من كان حبه لغير الله فيقول : (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ
 عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلِيَّتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا) ^(٣) يَوَيْلَتَى لِيَتَنِي لَمْ أَخَذْ فُلَانًا
 خَلِيلًا ^(٤) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ
 خَذُولًا) ^(٥) .. وفي يوم القيامة كل نسب وسبب مقطوع : (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ
 فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ) ^(٦) .. وكذلك كل صداقة وحب : (وَلَا
 يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا) ^(٧) .. وكل إنسان مشغول بنفسه ، مهموم ، لا يجد معه أحداً
 يواسيه ، أو يخفف عنه ، أو يؤنسه : (وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا) ^(٨) ..

ولكن هناك من يقول الحق تبارك وتعالى في شأنهم : (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) ^(٩) .. فالوُدُّ والمودة ستكون أيضاً

(١) رواه أحمد باقى مسند المكثرين .

(٢) سورة المؤمنون آية ١٠١ .

(٣) سورة مريم آية ٩٥ .

(٤) سورة الزخرف آية ٦٧ .

(٥) سورة الفرقان الآيات من ٢٧ : ٢٩ .

(٦) سورة المعارج آية ١٠ .

(٧) سورة مريم آية ٩٦ .

للمتحابين والمتآخين في الله .. إذ إن بين السبعة الذين يظلمهم الله بظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله : اثنين تحابا في الله ، اجتمعا عليه ، وتفرقا عليه .. وفي شأن المتحابين في الله وما ينتظرهم من فضل ، وإنعام لا يحظى به غيرهم ، يقول الرسول (ﷺ) : (إِنْ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ ، وَلَا شُهَدَاءَ ، يَغِبُّهُمْ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى) .. قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ ؟! قَالَ : (هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ ، وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا .. فَوَاللَّهِ ، إِنْ وَجُوهُهُمْ لَنُورٌ ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ .. لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ)^(١) .. وَقَرَأَ : (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)^(٢) .. ويقول (ﷺ) : (قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَصَادِقِينَ فِيَّ وَالْمُتَوَاصِلِينَ .. وَالْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ)^(٣) ..

والأخوة في الله رغم أن ثوابها عظيم ، إلا أنها أمر سهل يسير .. فأن تحب المسلم لا تحبه إلا لله ، وأن تكون صادقاً معه .. أميناً في نصحه .. ترد غيبتة .. تؤثره على نفسك .. تزوره إذا مرض .. تدعوه بالخير .. كل ذلك لا يكلف الإنسان مشقة ، بل يورث الألفة والتودد .. وقد ورد أن رسول الله (ﷺ) قال : (إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ)^(٤) .. وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال :

(١) رواه أبو داود كتاب البيوع . (٢) سورة يونس آية ٦٢ . (٣) رواه أحمد مسند الأنصار .

(٤) رواه أبو داود كتاب الأدب .

كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ مَرَّ رَجُلٌ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي لِأُحِبُّ هَذَا الرَّجُلَ .. قَالَ : (هَلْ أَعْلَمْتُهُ ذَلِكَ ؟) قَالَ : لَا .. فَقَالَ : (قُمْ فَأَعْلَمْهُ) .. قَالَ : فَقَامَ إِلَيْهِ فَقَالَ : يَا هَذَا ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ فِي اللَّهِ .. قَالَ : أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ ^(١) ..

ويعصف بعض الشيوخ الأخوة في الله فيقول :

إِنَّ أَخَاكَ الْحَقَّ مَنْ كَانَ مَعَكَ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ
وَمَنْ إِذَا رَيْبُ الزَّمَانِ صَدَعَكَ شَتَّتَ فِيكَ شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكَ

واصطناع الحبِّ مطلوب ، فالنبي ﷺ يقول : (تَهَادَوْا تَحَابُّوا) ^(٢) .. كما أمر ﷺ بإفشاء السلام ، وهو أن تسلم على من تعرف ومن لا تعرف من المسلمين .. ويقول في ذلك : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا ، أَفَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَمْرٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ) ^(٣) .. ويقول : (إِذَا التَقَى الرَّجُلَانِ الْمُسْلِمَانِ ، فَسَلَّمَ أَحَدُهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ ، فَإِنَّ أَحَبَّهُمَا إِلَى اللَّهِ أَحْسَنُهُمَا بَشَرًا لِمَا بِهِ ، فَإِذَا تَصَافَحَا نَزَلَتْ عَلَيْهِمَا مِائَةُ رَحْمَةٍ : لِلْبَادِي مِنْهُمَا تِسْعُونَ ، وَلِلْمُصَافِحِ عَشْرَةٌ) ^(٤) ..

ومحبة الصالحين ومجالستهم تنفع الإنسان في الدنيا والآخرة : ففي الدنيا يتعلم منهم ، ويقتدى بهم .. إذا ذكر الله أعانوه ، وإذا نسي ذكرَّوه .. وقد قيل : (مَنْ جَالَسَ جَانِسَ) .. وأما في الآخرة فيكون معهم لقول رسول الله ﷺ :

^(١) رواه أحمد باقى مسند المكثرين .
^(٢) رواه أبو داود كتاب الأدب .

^(٣) رواه البخارى فى الأدب المفرد .
^(٤) رواه البزار عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) .

(الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ)^(١) ..

هذا .. والأخوة في الله لها التزامات ، من أهمها : ردُّ الغيبة عنه ، حتى ولو كان ما يُقال عنه حقاً .. فقد روى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : (أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ ؟) قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .. قَالَ : (ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ) .. قِيلَ : أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ ؟ قَالَ : (إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبَتْهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتْهُ)^(٢) ..

والغيبة من الكبائر ، وعدم ردِّ الغيبة عن المسلم من الكبائر أيضاً ، لأن السكوت معناه : المشاركة ، والرضا بما تسمع .. وفي رد الغيبة يقول النبي ﷺ : (مَنْ رَدَّ عَنْ عَرَضِ أَخِيهِ ، رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)^(٣) .. ويقول ﷺ : (مَا مِنْ أَمْرٍ يَخْذُلُ أَمْرًا مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ ، وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عَرَضِهِ ، إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ .. وَمَا مِنْ أَمْرٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عَرَضِهِ ، وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ ، إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ)^(٤) ..

ومن التزامات الأخوة في الله أن يأمنك أخوك على : نفسه ، وعرضه ، وماله ، فلا تقع في عرضه ، ولا تسلب ماله ، ولا تسلمه لعدوه ، ولا تخفه ، ولا تمنع عنه ما يطلب ، إن كان في وسعك ، وكان فيه صلاحه ، فكلُّ المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه ، ولا يصحُّ ترويعُ المسلم ، فالنبي ﷺ يقول : (لَا

(٢) رواه مسلم كتاب البر والصلة .

(٤) رواه أبو داود كتاب الأدب .

(١) رواه البخارى كتاب الأدب .

(٣) رواه الترمذى كتاب البر والصلة .

يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا ^(١) .. ويقول : (مَنْ أَخَافَ مُؤْمِنًا بِغَيْرِ حَقٍّ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُؤْمِنَهُ مِنْ أَفْزَاعِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) ^(٢) .. ويقول : (مَنْ نَظَرَ إِلَى مُسْلِمٍ نَظْرَةً يُخِيفُهُ بِهَا فِي غَيْرِ حَقٍّ ، أَخَافَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ^(٣) .. ويقول : (مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ ، وَلَوْ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ ، لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ : آيسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ) ^(٤) .. ويقول : (لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَأَهْلَ الْأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لَأَكْبَهُمُ اللَّهُ فِي النَّارِ) ^(٥) .. ويقول : (مَنْ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا ، طَوَّقَهُ ^(٦) اللَّهُ إِيَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ) ^(٧) .. ويقول : (مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السَّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا) ^(٨) ..



^(١) رواه أبو داود كتاب الأدب .

^(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير .

^(٣) رواه الترمذي كتاب الديات .

^(٤) رواه مسلم كتاب المساقاة .

^(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط .

^(٤) رواه ابن ماجه كتاب الديات .

^(٦) طوقه : جعل طوقاً في عنقه .

^(٨) رواه البخاري كتاب الديات .

حقوق الزوجين

امتنن الله تبارك وتعالى على الإنسان بأن جعل له أنيساً من جنسه : يألفه ، ويسكن إليه ، وبالتزواج بينهما يحفظ النوع الإنساني ، وتأتى الذرية التى هى زهرة الحياة الدنيا ، وفلذة الأكباد .. فيعين الولد أباه فى كبره ، ويحمل اسمه ، ويساعده على اجتياز مصاعب الحياة ، ويستغفر له بعد موته ، ويدعو له .. والأبناء حصاد الزواج .. وحيثما كان الزواج سعيداً نشأ الأولاد فى بيئة صالحة ، وتهيأت لهم فرصة السلامة من العقد ، والأمراض النفسية ، والأخلاق الرذيلة ..

وقد حدد الله تبارك وتعالى نوع العلاقة بين الزوجين فقال : (وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)^(١) .. فالسكينة ، والمودة ، والرحمة بين الزوجين .. هى دعائم الحياة الزوجية السعيدة التى امتن الله على الإنسان بها .. ولكى تتوفر هذه الحياة السعيدة رسم القرآن ، ورسمت السنة الطريق إليها ، والوسائل المؤدية إليها .. فمن أوامر الحق تبارك وتعالى فى هذا الشأن قوله : (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَتَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا)^(٢) .. ويقول النبى (ﷺ) : (إِنْ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا ، وَالْأَطْفَهْمُ بِأَهْلِهِ)^(٣) .. ويقول (ﷺ) : (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي)^(٤) .. ويوصى (ﷺ)

(١) سورة الروم آية ٢١ . (٢) سورة النساء آية ١٩ . (٣) رواه الترمذى كتاب الإيمان .

(٤) رواه الترمذى كتاب المناقب .

بالنساء في خطبة الوداع فيقول : (أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا ، فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ ^(١) عِنْدَكُمْ ، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ ، إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ ^(٢) ، فَإِنْ فَعَلْنَ ، فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ ^(٣) ، فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ ، فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا .. أَلَا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا ، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا ، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ : فَلَا يُوطِئَنَّ فُرْشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ ^(٤) ، وَلَا يَأْذَنَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ .. أَلَا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ : أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ) ^(٥) ..

والتأمل في كيفية خلق المرأة يجد أنها خُلِقَتْ مِنْ ضَلَعِ « آدَم » ، وهو أقرب مكان من القلب .. وكأنَّ هذا هو مكانها الطبيعي من زوجها : أن تكون في قلبه ، فيعاملها بالعاطفة ، والحب ، والحنان .. ولو خُلِقَتْ المرأة من رأس الرجل لكانت عقله المفكر الذي يَسُوسُهُ ويقوده .. ولو خُلِقَتْ من يده لبطشَ بها ، أو تكسبَ بها .. ولو خُلِقَتْ من رِجْلِهِ لداسها ، وأهانها ، واستعلى عليها .. ولكنَّها خُلِقَتْ مِنْ أَقْرَبِ مَكَانٍ مِنْ قَلْبِهِ ، حتى تكون منبع العواطف الجياشة ، والمشاعر الجميلة ، ولكي نعلم أن الرجل هو الأصل ، والمرأة فرع ، وأنه هو الكل ، وهي الجزء ، ولا حياة للكل إلا بجميع أجزائه ، ولا حياة للجزء إلا بانتمائه إلى أصله .. ولذلك كانت

(١) عَوَان : أسرى . (٢) كل ما قُبِحَ من قَوْلٍ أو فِعْلٍ دون الزَّنى .

(٣) غير مبرح : غير شديد ، وعليه أن يجتنب الوجه .

(٤) أى من تكرهون من الأقارب المحارم أو النساء الأجانب .

(٥) رواه الترمذى كتاب الرضاع .

القَوَامَةُ لِلرِّجَالِ .. والله تبارك وتعالى يقول : (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ)^(١) .. وهذه القَوَامَةُ لا بد أن نفهمها على وجهها الصحيح ، فهي : ليست استِعلاءً ، أو تحكُّماً ، أو إرهاباً .. وإنما هي مسئولية الرَّاعِي نحو رَعِيَّتِهِ .. مسئولية أصل الشجرة نحو فروعها : فأصل الشجرة قوى ثابت في الأرض يمتص منها الماء والغذاء ، فيمد الفروع به .. وهو الذى يحمل الفروع فتحيا بحياته ، وتُحفظ بحفظه .. ومسئولية الرَّجُل تبدأ باختياره لشريكة حياته ، والذى حدد النبى (ﷺ) أساسه قائلاً : (تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ : لِمَالِهَا ، وَلِحَسَبِهَا ، وَلِجَمَالِهَا ، وَلِدِينِهَا .. فَظَفَرُ بَذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ)^(٢) .. كما حدد (ﷺ) الصفات الواجب توافرها في هذه الشريكة بقوله : (خَيْرُ فَائِدَةٍ اسْتَفَادَهَا الْمُسْلِمُ بَعْدَ الْإِسْلَامِ : امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ ، تَسْرُهُ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَهَا ، وَتَحْفَظُهُ إِذَا غَابَ عَنْهَا فِي مَالِهِ وَنَفْسِهَا)^(٣) .. وقد صحَّح النبى (ﷺ) الكثير من مفاهيم الجاهلية وتقاليدها .. تلك الجاهلية التى كانت تتدُّ البنات ، وتُعُقُّ الأمهات ، وتُورِثُ الزوجات ، فقد كان الرجل يرث نساء أبيه ضمناً تركته ، يفعل بهنَّ ما يشاء .. وكانت البنات لا يرثن من الآباء شيئاً .. وكان الرجل يقسو على امرأته ويضربها ضرباً مُبرِّحاً ، ويستردُّ منها صداقها تحت تهديد الاتهام بالخطيئة .. ويجمعُ معها ما يشاء من النساء ، بغير تحديد لعدد ، ودون اضطرار إلى ذلك لأى سبب ..

(١) سورة النساء آية ٣٤ . (٢) رواه مسلم كتاب الرضاع . (٣) رواه ابن أبى شيبة كتاب النكاح .

والمتَّبِع لسُنَّةِ النَّبِيِّ (ﷺ) وحياته مع نسائه يجد المثل الأعلى في حُسن المعاشرة ،
ولين الجانب ، والرَّفْقِ ، والحنان .. وقد أطلق على النساء لقب « القَوَارِير » حين
كان في سَفَرٍ ، وَكَانَ مَعَهُ غُلَامٌ لَهُ أَسْوَدٌ - يُقَالُ لَهُ أَنْجَشَةُ - يَحْدُو ، وأسْرعت
الإبل في سيرها لجمال صوت الْحَادِي (١) ، وسرعة وقع إنشاده .. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ
اللَّهِ (ﷺ) : (وَيَحْكُ يَا أَنْجَشَةُ ، رُوَيْدُكَ بِالْقَوَارِيرِ) (٢) .. ويدخل مرة على أهله
ويسألهم الأُدْمَ (٣) ، فَقَالُوا : مَا عِنْدَنَا إِلَّا خَلٌّ ، فَدَعَا بِهِ ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ بِهِ ، وَيَقُولُ :
(نَعَمْ الأُدْمُ الْخَلُّ .. نَعَمْ الأُدْمُ الْخَلُّ) (٤) .. يَأْكُلُ هَنِيئًا دُونَ اعْتِرَاضٍ أَوْ تَعْنِيفٍ ..
وكان الرجال في الجاهلية لا ينامون مع نسائهم في فراش واحد .. لكن الرسول
(ﷺ) عَلَّمَنَا أَنَّ الزَّوْجَ يَنَامُ مَعَ زَوْجَتِهِ فِي فِرَاشٍ وَاحِدٍ ، بَلْ وَفِي لِحَافٍ وَاحِدٍ ..
وكان الرجل يعتزل امرأته إذا حاضت : فلا يجالسها ، ولا يؤاكلها .. وتحكى لنا
السيدة « عائشة » أم المؤمنين (رضى الله عنها) طرفاً من سلوكيات سيِّدِ الْخَلْقِ (ﷺ)
فتقول : (إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) لَيَقْبَلُ بَعْضَ أَزْوَاجِهِ وَهُوَ صَائِمٌ) .. ثُمَّ
ضَحَكَتْ (٥) .. وَقَدْ وَصَفَتْ حَالَتَهُ فِي بَيْتِهِ بِقَوْلِهَا : كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ - تَعْنِي
خِدْمَةَ أَهْلِهِ - فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ (٦) .. وَحِينَ سُئِلَتْ : مَا
كَانَ النَّبِيُّ (ﷺ) يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ ؟ قَالَتْ : (كَمَا يَصْنَعُ أَحَدُكُمْ ، يَخْصِفُ نَعْلَهُ (٧) ،
وَيَرْقُقُ ثَوْبَهُ) (٨) .. وتحكى السيدة « أُمُّ سَلَمَةَ » (رضى الله عنها) فتقول : بَيْنَمَا

(١) الحادى : مَنْ يَسُوقُ الْإِبِلَ مَتَغْنِيًا لَهَا .

(٢) رواه البخارى كتاب الأدب .

(٣) الأدم : مَا يَأْكُلُ مَعَ الْخَبْزِ مِنَ الطَّعَامِ .

(٤) رواه مسلم كتاب الأشربة .

(٥) رواه البخارى كتاب الصوم .

(٦) رواه البخارى كتاب الأذان .

(٧) يَخْصِفُ نَعْلَهُ : يُصْلِحُهَا .

(٨) رواه أحمد باقى مسند الأنصار .

أَنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فِي الْخَمِيلَةِ ^(١) إِذْ حَضْتُ ، فَأَنْسَلْتُ ، فَأَخَذْتُ ثِيَابَ حِيضَتِي ، فَقَالَ : مَا لَكَ أَنْفَسْتَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ .. فَدَخَلْتُ مَعَهُ فِي الْخَمِيلَةِ ^(٢) ..

وتقول السيدة « عائشة » (رضى الله عنها) : كُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا وَالنَّبِيُّ (ﷺ) مِنْ إِنْاءٍ وَاحِدٍ ، كَلَانَا جُنْبٌ .. وَكَانَ يَأْمُرُنِي فَأَتَزَّرُ ^(٣) فَيَبْأَشِرُنِي ^(٤) ، وَأَنَا حَائِضٌ ، وَكَانَ يُخْرِجُ رَأْسَهُ إِلَيَّ وَهُوَ مُعْتَكِفٌ ، فَأَغْسِلُهُ وَأَنَا حَائِضٌ ^(٥) ..

وفي يوم من أيام عيد الأضحى كان الأحباش يلعبون بحرابهم في المسجد ، وأرادت (رضى الله عنها) أن تنظر إليهم ، فجلس (ﷺ) على باب حُجْرَتِهِ ، وَاسْتَنْدَتْ هِيَ عَلَى ظَهْرِهِ ، تَنْظُرُ مِنْ فَوْقَ كَتِفِهِ إِلَى لَعِبِ الْأَحْبَاشِ ، وَظَلَا هَكَذَا حَتَّى إِذَا مَلَّتْ قَالَ (ﷺ) لَهَا : حَسْبُكَ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ .. قَالَ : فَادْهَبِي ^(٦) ..

وقصة فَقْدِهَا لِعَقْدِهَا ، وَأَمْرِهِ (ﷺ) لِلجَيْشِ بِالْإِنْتَظَارِ حَتَّى يَتِمَّ الْعَثُورُ عَلَى الْعَقْدِ قصة معروفة مشهورة ، وَنَزَلَ فِيهَا مِنَ الْقُرْآنِ آيَاتُ التَّيَمُّمِ ، وَعَلَى رِغْمِ تَعْنِيفِ أَبِيهَا - أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ (رضي الله عنه) - لَهَا تَعْنِيفًا شَدِيدًا إِلَّا أَنَّ الرَّسُولَ (ﷺ) لَمْ يُعَنَّفْهَا وَلَا بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ ..

وَحُسْنُ مَعَاشِرَتِهِ (ﷺ) لَزَوْجَاتِهِ لَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ ، بَلْ كَانَ كَذَلِكَ مَعَهُنَّ جَمِيعًا .. وَحَتَّى مِنْ قَبْلِ بَعْثَتِهِ (ﷺ) حِينَ تَزَوَّجَ السَّيِّدَةَ « خَدِيجَةَ » الَّتِي كَانَتْ تَكْبُرُهُ بِخَمْسِ عَشْرَةِ سَنَةً - وَكَانَ هُوَ فِي عُنُقُوَانِ شَبَابِهِ - لَمْ يَتَزَوَّجْ عَلَيْهَا بِأُخْرَى حَتَّى مَاتَتْ (رضى الله عنها) .. وَكَانَ يَذْكُرُهَا كَثِيرًا بَعْدَ مَمَاتِهَا ، وَيَتَعَاهَدُ صُؤْيَحِبَاتِهَا

(١) الخميعة : كساء غليظ . (٢) رواه البخاري كتاب الصوم . (٣) أترز : ألبس الإزار . (٤) يباشرني : يحتضني . (٥) رواه البخاري كتاب الحيض . (٦) رواه البخاري كتاب الجمعة .

بالهدايا حتى غارت السيدة « عائشة » ، على رغم أنها لم تجتمع بها قط ..
وتحكى عن ذلك فتقول : مَا غَرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ (ﷺ) مَا غَرْتُ عَلَى
خَدِيجَةَ .. وَمَا رَأَيْتُهَا .. وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ (ﷺ) يُكْثِرُ ذِكْرَهَا ، وَرَبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ،
ثُمَّ يَقْطَعُهَا أَغْضَاءً ، ثُمَّ يَبْعُثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ : كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ
فِي الدُّنْيَا امْرَأَةً إِلَّا خَدِيجَةُ !! فَيَقُولُ : إِنَّهَا كَانَتْ .. وَكَانَتْ .. وَكَانَ لِي مِنْهَا
وَلَدٌ ^(١) .. وحين قالت له السيدة « عائشة » يوماً : قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا
خَيْرًا مِنْهَا ، قَالَ : (مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا .. قَدْ آمَنْتُ بِي إِذْ كَفَرَ بِي
النَّاسُ .. وَصَدَّقْتَنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ .. وَوَأَسْتَيْ بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ ..
وَرَزَقَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادُ النِّسَاءِ) ^(٢) ..

وهكذا استمر وفاؤه للسيدة « خديجة » (رضوان الله عليها) على رغم موتها
حتى آخر عمره (ﷺ) ، وحين مَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) مَرَضَ الْمَوْتِ أَرَادَ أَنْ يُمَرِّضَ
فِي بَيْتِ « عَائِشَةَ » فَكَانَ يَقُولُ لِنِسَائِهِ : (أَيْنَ أَنَا غَدًا ؟ أَيْنَ أَنَا غَدًا ؟) ^(٣) ففهمن
رغبته ، فَأَذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، وَانْتَقَلَ إِلَى بَيْتِ « عَائِشَةَ » (رضى الله عنها) فمات في
اليوم الذي كان يدور عليها فيه .. فتقول (رضى الله عنها) : (إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي ، وَفِي يَوْمِي ، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي) ^(٤) ، وَأَنَّ
اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ) ^(٥) ..

^(١) رواه البخارى كتاب المناقب . ^(٢) رواه أحمد باقى مسند الأنصار . ^(٣) رواه البخارى كتاب المناقب .

^(٤) السَّحَرُ : أسفل الصدر .. والنحر : أعلى الصدر .

^(٥) رواه البخارى كتاب المغازى .

وأمثلة حسن معاشرته (ﷺ) لنسائه تفوق الحصر .. وقد قدّم كثيراً من النصائح للأزواج ، لينعموا بالحياة السعيدة الهائلة المستقرة .. وكذلك قدّم كثيراً من النصائح للزوجات ، للقيام بواجباتهن نحو أزواجهن ، من : حسن المعاشرة ، والتعاطف ، والحنان ، وحفظ المال ، ورعاية الولد .. كما بشر الطائعات منهن لأوامره بعظيم الثواب ، وجزيل العطاء .. فقد روى أنه (ﷺ) قال لعبد الله بن عمرو بن العاص (رضى الله عنهما) : (يَا عَبْدَ اللَّهِ .. أَلَمْ أُخْبِرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ ، وَتَقُومُ اللَّيْلَ ؟ قال : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : فَلَا تَفْعَلْ .. صُمْ وَأَفْطِرْ ، وَقُمْ وَتَمْ ، فَإِنَّ لَجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا .. وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا .. وَإِنَّ لِرِزْقِكَ عَلَيْكَ حَقًّا)^(١) ..

ويروى أن أسماء بنت يزيد الأنصاريّة أتت النبي (ﷺ) وهو بين أصحابه ، فقالت : يَا أَبَتِ أُمِّي وَأُمِّي ، إِنِّي وَافِدَةٌ النَّسَاءِ إِلَيْكَ ، وَأَعْلَمُ - نَفْسِي لَكَ الْفِدَاءُ - أَنَّهُ مَا مِنْ امْرَأَةٍ كَانَتْ فِي شَرْقٍ وَلَا غَرْبٍ سَمِعَتْ بِمَخْرَجِي هَذَا أَوْ لَمْ تَسْمَعْ إِلَّا وَهِيَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِي .. إِنَّ اللَّهَ بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فَأَمَّا بِكَ وَيَا لِهَكَ الَّذِي أَرْسَلَكَ ، وَإِنَّا مَعَشَرَ النِّسَاءِ : مَحْصُورَاتٌ مَقْصُورَاتٌ ، قَوَاعِدُ يُبُوتِكُمْ ، وَمَقْضَى شَهَوَاتِكُمْ ، وَحَامِلَاتُ أَوْلَادِكُمْ .. وَإِنَّكُمْ مَعَاشِرَ الرِّجَالِ : فَضَلْتُمْ عَلَيْنَا بِالْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَاتِ ، وَعِيَادَةِ الْمَرْضَى ، وَشُهُودِ الْجَنَائِزِ ، وَالْحَجِّ بَعْدَ الْحَجِّ ، وَأَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ : الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .. وَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا خَرَجَ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا أَوْ

(١) رواه البخارى كتاب النكاح .

مُرَابِطًا حَفَظْنَا لَكُمْ أَمْوَالَكُمْ ، وَغَزَلْنَا لَكُمْ أَثْوَابَكُمْ ، وَرَبَّيْنَا لَكُمْ أَوْلَادَكُمْ ..
فَمَا نُشَارِكُكُمْ فِي الْأَجْرِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟! فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ (ﷺ) إِلَى أَصْحَابِهِ
بِوَجْهِهِ كُلِّهِ ، ثُمَّ قَالَ : (هَلْ سَمِعْتُمْ مَقَالََةَ امْرَأَةٍ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْ مَسْأَلَتِهَا فِي أَمْرِ
دِينِهَا مِنْ هَذِهِ ؟!) .. فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا ظَنُّنَا أَنَّ امْرَأَةً تَهْتَدِي إِلَى
مِثْلِ هَذَا !! فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ (ﷺ) إِلَيْهَا ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : (انصُرِي أَيْتَهَا الْمَرْأَةُ ،
وَأَعْلِمِي مَنْ خَلَفَكَ مِنَ النِّسَاءِ أَنَّ حُسْنَ تَبْعُلِ ^(١) إِحْدَاكُنَّ لَزَوْجِهَا ، وَطَلَبَهَا
مَرْضَاتُهُ ، وَاتَّبَاعَهَا مُوَافَقَتُهُ يَعْدِلُ ذَلِكَ كُلُّهُ) .. فَأَدْبَرَتِ الْمَرْأَةُ وَهِيَ تُهَلِّلُ
وَتُكَبِّرُ اسْتِبْشَارًا .. ^(٢)

وسلوك الصحابيات اللاتي تأدبن بآداب رسول الله (ﷺ) في حسن معاشرته
الأزواج يضيق عن ذكره المقام ، ونذكر حادثة واحدة تدلُّ على ذلك .. فقد مَرِضَ
طفل صغير لـ « أَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِي » فكان يَتَوَجَّعُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ ، وَيَكِي
كثيراً حتى ينقطع نَفْسُهُ ، فخرج « أَبُو طَلْحَةَ » إِلَى الْمَسْجِدِ يَوْمًا ، فمات الولد ،
فَغَطَّاهُ أُمُّهُ « أُمُّ سُلَيْمٍ بِنْتُ مَلْحَانَ » .. ثُمَّ تَزَيَّنَتْ ، وَتَعَطَّرَتْ ، وَتَهَيَّأتْ لَزَوْجِهَا ..
فلما عاد إلى البيت سأل عن حال الولد ، فقالت : (هُوَ أَسْكَنُ مِمَّا كَانَ) .. ولم
تخبره بموته ولم تكذب ، بل لجأت إلى التعريض فقد سَكَنَ الولد فعلاً ، ثُمَّ أَعَدَّتْ
الطَّعَامَ لَزَوْجِهَا ، وَأَمَكَّنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا .. فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبَعَ ، وَأَصَابَ مِنْهَا ،
قَالَتْ : يَا أَبَا طَلْحَةَ ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْمًا أَعَارُوا أَهْلَ بَيْتِ عَارِيَةٍ ، فَطَلَبُوا عَارِيَتَهُمْ ،

^(٢) رواه البيهقي في شُعب الإيمان .

^(١) تبعل : تَزَيَّنَتْ وَتَعَطَّرَتْ .

أَلَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ؟ قَالَ : لَا .. قَالَتْ : فَاحْتَسِبْ ابْنَكَ ^(١) .. قال : إنا لله ، وإنا إليه راجعون .. وخرج إلى المسجد كاظماً غيظه فلقي رسول الله (ﷺ) فأخبره بموت ابنه ، فقال النبي (ﷺ) : (فَبُتْمَا عَرُوسَيْنِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِكُمَا ؟) .. قال : نَعَمْ .. فقال : (بَارَكَ اللَّهُ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا) .. وَتَحْمِلُ الْمَرْأَةُ ، وَتَلِدُ غُلَامًا ، يصبح من العلماء الصالحين ، وَيُنْجِبُ تِسْعَةً مِنَ الْأَبْنَاءِ ، كُلُّهُمْ قَدْ حَمَلَ الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ .. ينشرونه في الآفاق ، وتحقق نبوءة الرسول (ﷺ) : (بَارَكَ اللَّهُ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا) ^(٢) ..

هذا .. ومن أسوأ ما اعتاده بعض الرجال أن يحلفوا بالطلاق في الأمور التافهة ، مثل التبائع ، أو لإبقاء الضيف للطعام ، أو المبيت .. وما إلى ذلك ، مما قد يوقعهم في المحذور ، فقد تُطْلَقُ الزوجة دُونَ أَنْ تَدْرِي ، ويصبح الإثم على الرجل في حياة مُحَرَّمَةٍ تُنْتِجُ أَوْلَادَ سِفَاحٍ ، يكونون وبالاً على أبيهم في كِبَرِهِ .. كما أن الزوج الذي يسوس امرأته بالتهديد بإيقاع الطلاق آثم ، وضعيف الشخصية ، ومخالف لسنة الرسول (ﷺ) .. فما حدث أن حَلَفَ النبي (ﷺ) بالطلاق على إحدى نسائه مطلقاً لتفعل شيئاً ، أو لمتنع عن فعلٍ شيءٍ ، وأقصى ما فعله حين اجتمعن عليه في طلب زيادة النفقة أن غاضبهن شهراً اعتكفه في مسجده ، وخيرهنَّ - بأمر الله له - بين الحياة معه في زُهدٍ ، وتَقَشُّفٍ ابتغاء مرضاة الله .. وبين التسريح بالمعروف ، مع التمتع ^(٣) ، فاخترنَّ كلهنَّ الحياة معه ابتغاء ما عند الله ، وذلك حين نزل قول الله عز

(١) أى : اطلب ثواب مُصِيبَتِكَ فِي ابْنِكَ الَّذِي كَانَ عَارِيَةً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى .

(٢) رواه أحمد والبخارى ومسلم .
(٣) متعة الطلاق : ما يوهب للمطلقة إرضاء لها .

وجل : (يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ .
أُمْتِعْكُنَّ وَأَسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآدَارَ
الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا) (١) ..

والزوجة التي تطلب الطلاق من زوجها دون مُبرّر مقبول آثمة في حق نفسها ،
مُغْضِبَةٌ لِرَبِّهَا .. أما تلك التي تحاول بذلك اختبار منزلتها عند زوجها فهي جاهلة ،
تلعّب بالنار .. فكثره طلب الطلاق قد تجعل الزوج يُلبّي طلبها ، فتندم على ذلك
طول عمرها .. والزوجة التي تَمْتَنع عن زوجها إذا طلبها لنفسه تبيت تلعنّها الملائكة
حتى تصبح .. وعليها أن تستجيب له في ذلك وقتما يشاء .. وعلى الزوج أن يعلم
أن من أشدّ الأمور التي تكرهها الزوجة أن يخل زوجها عليها بماله ، أو بحنانه ، أو
بوقته ، فهي تحتاج إلى من يؤنسها ، كما يحتاج هو إلى من يؤنسه .. وعليه أن يتجمل
لها كما يحب أن تتجمل هي له .. وعليهما معاً أن يكون التفاهم بينهما قائماً في
كل الأمور ، خاصة أسلوب تربية الأولاد ، وليمتنعا تماماً عن الخلاف ، أو الشجار
أمام أبنائهما ، وليتعوّدا أن تكون مناقشة الخلافات وحلّها محصورة في حجرة نومهما ،
ولا تتعدى باب الحجرة منذ البداية ، وليحذر كل منهما أن يشكو الآخر ، أو يذيع
سِرّه للأهل ، أو الأصدقاء ، أو الجيران .. كما يحرم على الرجل أن يَصِفَ امرأته ،
أو يتكلم عن كيفية تصرفها معه في فراشه ، أو أن يذكّر عيوبها الخُلُقِيَّة ، أو الخُلُقِيَّة
لأحد من الناس ..

(١) سورة الأحزاب الآيتان ٢٨ ، ٢٩ .

هذا .. وقد كان الصحابة والصحابيات (رضوان الله عليهم) ، يَعِظُونَ بناتهم عند الزواج ، ويقدمون لهن النصائح ، حتى يَسْعَدْنَ في حَيَاتِهِنَّ مع أزواجهن ، ويأمرونها بخدمة الزوج ، ورعاية حقّه ، الأمر الذي نفتقده في عصرنا هذا .. وإليك أمثلة لهذه النصائح :

خطب أحد الرجال فتاة .. ولما حان زفافها إليه خَلَتْ بها أمُّها « أُمَامَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ » فَأَوْصَتْهَا وَصِيَّةً تُبَيِّنُ فيها أُسُسَ الحياة الزوجية السعيدة ، وما يجب عليها لزوجها فقالت :

أَيُّ بُنْيَّةٍ : إِنَّ الْوَصِيَّةَ لَوْ تُرِكَتْ لَفَضِّلَ أدبٌ لَتَرَكْتُ ذَلِكَ لَكَ ، ولكنها تَذَكِّرُ لِلْغَافِلِ ، وَمَعُونَةٌ لِلْعَاقِلِ .. ولو أَنَّ امرأةً اسْتَعْنَتْ عَنِ الزَّوْجِ لَغْنَى أَبَوَيْهَا ، وَشِدَّةَ حَاجَتِهِمَا إِلَيْهَا ، كُنْتُ أَغْنَى النَّاسِ عَنْهُ ، وَلَكِنَّ النِّسَاءَ لِلرِّجَالِ خُلُقْنَ ، وَلَهُنَّ خُلُقَ الرِّجَالِ ..

أَيُّ بُنْيَّةٍ : إِنَّكَ فَارَقْتَ الْجَوْ الَّذِي مِنْهُ خَرَجْتَ ، وَخَلَفْتَ الْعُشَّ الَّذِي فِيهِ دَرَجْتَ ، إِلَى وَكْرٍ لَمْ تَعْرِفِهِ ، وَقَرِينَ لَمْ تَأْلَفِهِ ، فَأَصْبَحَ بِمُلْكِهِ عَلَيْكَ رَقِيًّا وَمَلِيكًا ، فَكُونِي لَهُ أَمَةً ، يَكُنْ لَكَ عَبْدًا وَشِيكًا ، وَاحْفَظِي لَهُ خِصَالًا عَشْرًا ، يَكُنْ لَكَ ذُخْرًا :

أَمَّا الْأُولَى وَالثَّانِيَّةُ : فَالْخُشُوعُ لَهُ بِالْقَنَاعَةِ ، وَحُسْنُ السَّمْعِ لَهُ وَالطَّاعَةُ ..

وَأَمَّا الثَّالِثَةُ وَالرَّابِعَةُ : فَالْتَفَقُّدُ لِمَوَاضِعِ عَيْنِهِ وَأَنْفِهِ ، فَلَا تَقَعِ عَيْنُهُ مِنْكَ عَلَى قِيحٍ ، وَلَا يَشُمَّ مِنْكَ إِلَّا أَطْيَبَ رِيحٍ ..

وَأَمَّا الْخَامِسَةُ وَالسَّادِسَةُ : فَالْتَفَقُّدُ لَوْقَتِ مَنَامِهِ وَطَعَامِهِ ، فَإِنَّ تَوَاتُرَ الْجُوعِ مَذْهَبَةٌ ، وَتَنَغِيصُ النَّوْمِ مَغْضَبَةٌ ..

وأما السابعة والثامنة : فالاحتِراسُ بِمالِه ، والإِرْعاءُ على حَشَمِه وَعِيالِه .. وملاكُ الأمرِ في المال : حُسْنُ التَّقْدِيرِ ، وفي العِيال : حُسْنُ التَّدْبِيرِ ..

وأما التاسعة والعاشره : فلا تَعْصِينَ له أَمْرًا ، ولا تُفْشِينَ له سِرًّا .. فَإِنَّكَ إِنْ خَالَفتِ أَمْرَه ، أَوْغَرْتَ صَدْرَه ، وَإِنْ أَفْشَيْتِ سِرَّه ، لم تَأْمَنِ غَدْرَه .. ثُمَّ إِيَّاكَ والفرحَ بَيْنَ يَدَيْهِ إِنْ كان مُهْتَمًّا ، والكآبَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ إِنْ كانَ فَرِحًا ..

وقد أوصى « عبدُ الله بن جعفر بن أبي طالب » ابنته فقال : إِيَّاكَ والغَيْرَةَ ، فَإِنَّها مِفْتاحُ الطَّلَاقِ .. وإِيَّاكَ وكثرة العُتْبِ ، فَإِنَّه يُورِثُ البَغْضاءَ .. وعلَيْكَ بالكُحْلِ ، فَإِنَّه أَزِينُ الزِينَةِ .. وأَطِيبُ الطِّيبِ الماءُ ..

وقد قال « أبو الدَّرْداءِ » لامرأته : إِذَا رَأَيْتِي غَضِبْتُ فَرَضِّينِي .. وَإِذَا رَأَيْتُكَ غَضِبْتَ أَرْضِيتُكَ ، وإِلا لم نَصْطَحِبْ ..

وقال غيره لزوجته :

خُذِي العَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي	وَلَا تَنْطُقِي فِي سَوَرَتِي حِينَ أَغْضَبُ
وَلَا تَنْقَرِي نِقْرَكَ الدُّفَّ مَرَّةً	فَإِنَّكَ لَا تَدْرِينَ كَيْفَ الْمُغِيبُ
وَلَا تُكْثِرِي الشَّكْوَى فَتُذْهِبَ بالقوى	وَيَأْبَاكَ قَلْبِي وَالْقُلُوبُ تُقَلِّبُ
فَإِنِّي رَأَيْتُ الحُبَّ فِي القَلْبِ والأذى	إِذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَلْبَثِ الحُبُّ يَذْهَبُ

وهكذا نرى كيف كانت النصائح ، وكيف كان اهتمام الآباء والأمهات بتوفير السعادة لبناتهن ..

تَرْبِيَةُ الْأَبْنَاءِ

يقول الحقُّ تبارك وتعالى : (يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوتُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)^(١) .. وبهذه الآية الكريمة أوصى الله تبارك وتعالى الآباء بالأبناء الذين تشملهم كلمة (أَهْلِيكُمْ) .. فَمَنْ أَحَبَّ أَبْنَاءَهُ ، وَعَلِمَ أَنَّهُمْ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ خَافَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّارِ ، وَعَذَابِ الْجَبَّارِ ، فَأَحْسَنَ تَرْبِيَتَهُمْ ، وَنَشَأَهُمْ عَلَى التَّقْوَى وَالصَّلَاحِ ، كَمَا أَنَّهُ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِذْ يَقُولُ النَّبِيُّ (ﷺ) : (كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)^(٢) .. ويقول : (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَائِلٌ كُلَّ ذِي رِعْيَةٍ فِيمَا اسْتَرْعَاهُ : أَقَامَ أَمْرَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ أَضَاعَهُ ؟ حَتَّى إِنْ الرَّجُلَ لَيَسْأَلُ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ)^(٣) .. ولا شك أن مسؤولية الأب والأم عن أولادهما تبدأ قبل الزواج ، إذ يجب على كل منهما اختيار شريك حياته اختياراً سليماً ، فالرجل عليه أن يختار أمّاً أولاده التي تصلح لتربيته تبعاً لوصية النبي (ﷺ) : (تُنَكِّحُ الْمَرْأَةَ لِأَرْبَعٍ : لِمَالِهَا ، وَلِحَسَبِهَا ، وَلِجَمَالِهَا ، وَلِدِينِهَا .. فَاطْفَرُ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ)^(٤) .. ويحدد (ﷺ) أوصافها كذلك بقوله : (خَيْرُ فَائِدَةٍ اسْتَفَادَهَا الْمُسْلِمُ بَعْدَ الْإِسْلَامِ : امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ ، تَسْرُهُ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَهَا ، وَتَحْفَظُهُ إِذَا غَابَ عَنْهَا فِي مَالِهِ وَنَفْسِهَا)^(٥) .. وكذلك على الفتاة أن تختار مَنْ سيصبح أباً لأولادها من خلال

(١) سورة التحريم آية ٦ . رواه البخارى كتاب الجمعة . (٢) رواه الطبراني فى المعجم الكبير .

(٤) رواه مسلم كتاب الرضاع . (٥) رواه ابن أبي شيبة كتاب النكاح .

وَصِيَّةُ النَّبِيِّ (ﷺ) : (إِذَا خَاطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَرُوجُوهُ ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ ، وَفَسَادٌ عَرِيضٌ ^(١)) ^(٢) ..

وقد أباح النبي (ﷺ) للرجل أن ينظر إلى من يريد خطبتها ، كما أعطى (ﷺ) الفتاة الحق في القبول أو الرفض بقوله : (لَا تُنْكَحُ الْبُكَرُ حَتَّى تُسْتَأْذِنَ ، وَلَا الشَّيْبُ ^(٣) حَتَّى تُسْتَأْمَرَ ^(٤)) .. فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَيْفَ إِذْنُهَا ؟ قَالَ : (إِذَا سَكَتَ) ^(٥) ..

وعلى الأب أن يُراعى في اختيار أسماء أولاده - التي سوف يُنادون بها في الدنيا والآخرة - جمال المعنى واللفظ .. فإذا منَّ الله تبارك وتعالى على الزوجين بالذرية ، فعليهما أن يتقبَّلا منحة الله بالشُّكر والعرفان ، بغض النظر عن جنس المولود ، لأن الله تبارك وتعالى أعلم بمصالح عباده ، فمنهم من يصلح له الذكور ، ومنهم من يصلح له الإناث .. وهكذا ، وهو سبحانه القائل : (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ تَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ^(٦)) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا ^(٧) وَتَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ^(٨) إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ^(٩)) ..

والذين يُرْزَقُونَ بالبنات فيعترضون على ذلك ، هم في غفلة عن الخير الذي ينتظرهم إن تقبلوا نعمة الله بالرضا ، وأحسنوا تربيتهن ، فقد روى عن السيدة « عائشة » (رضي الله عنها) أنها قالت : جَاءَتْنِي امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ تَسْأَلُنِي ، فَلَمْ

^(٢) رواه الترمذي كتاب النكاح .

^(١) عريض : كبير .

^(٤) حتى تستأمر : أى أنه لا يعقد عليها حتى تأمر بذلك .

^(٣) الشيب : من سبق لها الزواج .

^(٦) سورة الشورى الآيتان ٤٩ ، ٥٠ .

^(٥) رواه البخارى كتاب الحيل .

تَجِدُ عِنْدِي غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَأَعْطَيْتُهَا ، فَقَسَمْتُهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا ، ثُمَّ قَامَتْ ، فَخَرَجَتْ .. فَدَخَلَ النَّبِيُّ (ﷺ) فَحَدَّثَهُ ، فَقَالَ : (مَنْ يَلِي مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ شَيْئًا ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ ، كُنَّ لَهُ سِتْرًا ^(١) مِنَ النَّارِ) ^(٢) .. ويقول (ﷺ) : (مَنْ كُنَّ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ : يُؤْوِيَهُنَّ ، وَيَرْحَمُهُنَّ ، وَيَكْفُلُهُنَّ ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْبَتَّةَ) .. قالوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَإِنْ كَانَتْ اثْنَتَيْنِ ؟ .. قَالَ : (وَإِنْ كَانَتْ اثْنَتَيْنِ) .. فَرَأَى بَعْضُ الْقَوْمِ أَنْ لَوْ قَالُوا لَهُ وَاحِدَةً لَقَالَ وَاحِدَةً ^(٣) ..

والعناية بالأولاد مسئولية مشتركة بين الأب والأم .. كل منهما يحمل نصيبه منها ، فالأم عليها : إرضاع طفلها من لبنها الذى خلقه الله .. وحرمان الطفل من هذا اللبن حرمان له من رزقه ، يُعَرِّضُ الأمَ لِلْمُسَاءَلَةِ يوم القيامة .. ومدة الرضاع سنتان كاملتان كما أوصى الله تعالى بذلك ، ولبن الأم لا يعوضه أى غذاء آخر للأسباب الآتية :

- ١- درجة حرارة لبن الأم تساوى درجة حرارة الجسم ، فيتناسب ذلك مع معدة الطفل ، الأمر الذى لا يمكن ضبطه فى الرضاعة الصناعية .
- ٢- لبن الأم به مناعة يتزود بها الطفل من خلال الرضاعة الطبيعية ، تقيه شرَّ الأمراض المختلفة كالنزلات المعوية .. وما إلى ذلك .
- ٣- لبن الأم يتغير تركيبه يوميًا حسب احتياج الطفل ونموه ، وهذا لا يمكن توافره فى الغذاء الصناعى .

(١) سِتْرًا : حِجَابًا . (٢) رواه البخارى كتاب الأدب . (٣) رواه أحمد باقى مسند المكثرين .

٤ - الطفل وهو في بطن أمه يتلقّى غذاءه من خلال الحبل السرىّ غذاء مهضوماً لا يترك فضلات ، الأمر الذى يتطلب أن يكون غذاؤه بعد الولادة مناسباً لجهازه الهضمى ، وذلك أمر لا يمكن تدبيره إلا بمعرفة الخالق سبحانه وتعالى .

كما أن إرضاع الأم لطفلها زرعٌ للبرّ فيه ، لأنّ الله تبارك وتعالى يقول : (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا)^(١) .. واستخدام الثدي فيما خلّق له حفظٌ لشكله وسلامته ، لأن الشكر على النعمة يحفظها ، وشكر النعم بأن تُستخدَم فيما خلقت له ، فلا يُصابُ الثدي بالأمراض التى نسمع بها فى عصرنا الحالى ، وما علّمتُ بها أمهاتنا من قبل هذا ، بالإضافة إلى أن المجهود الذى يبذله الطفل فى الرضاعة يُفيده فى تمرين عضلات الوجه والعنق ، واليدين ، ويُعوّده من نعومة أظفاره أنه لى يحصل على الجود فلا بد من بذل المجهود ، بعكس الرضاعة الصناعية التى تجعل الطفل مستلقياً على ظهره ، ينزل إليه غذاؤه ، دون مجهود منه ، ودون استمتاعه بدفء أمه ، واحتضانها له ..

وعلى الوالدين مراعاة الحكمة القائلة : (لَاعِبٌ وَلَدَكَ سَبْعًا ، وَهَذَبُهُ سَبْعًا ، وَصَاحِبُهُ سَبْعًا ، ثُمَّ أَثْرُكُ حَبْلُهُ عَلَى غَارِبِهِ) .. فهو حينئذ يكون قد بلغ رُشدَه ، وأصبح مسئولاً عن نفسه .. مع وجوب العلم بأن ضَرْبَ الأولاد فى سنّ الطفولة ليس من الإسلام فى شىء ، ونبيّنا (ﷺ) يقول : (مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ)^(٢) ..

(٢) رواه أبو داود كتاب الصلاة .

(١) سورة الكهف آية ٣٠ .

ومعنى ذلك أن الضرب لا يكون إلا بعد سنِّ العاشرة : ضرباً غير مُبرِّحٍ ، وعلى الصلاة التى هى عِمَاد الدين ، فمن باب أوَّلَى ألا يُضرب الطفل على أمور أقل من ذلك فى الأهمية ، أو قبل سنِّ العاشرة ، إذ يبدأ التمييز عند الأطفال فى سنِّ السابعة ، ويكتمل فى سنِّ العاشرة .. وعلى الأم أن لا تملّ من حمل طفلها ، وهددته ، وكذلك الأب .. وقد ضرب النبى (ﷺ) المثل لأُمَّته فى الحنان ، ووجوب رعاية الأطفال .. فعن أبي قتادة الأنصاريّ قال : رَأَيْتُ النَّبِيَّ (ﷺ) يَوْمَ النَّاسِ ، وَأُمَامَةَ بِنْتِ أَبِي الْعَاصِ - وَهِيَ ابْنَةُ زَيْنَبَ بِنْتِ النَّبِيِّ (ﷺ) - عَلَى عَاتِقِهِ ، فَإِذَا رَكَعَ وَضَعَهَا ، وَإِذَا رَفَعَ مِنَ السُّجُودِ أَعَادَهَا ^(١) .. ويقول (ﷺ) : (إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا ، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ ، فَاتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي ، مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدٍ ^(٢) أُمَّهُ مِنْ بُكَائِهِ) ^(٣) ..

هذا .. ويقول الرسول (ﷺ) : (مَا نَحَلَ ^(٤) وَالِدٌ وَلَدًا مِنْ نَحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ) ^(٥) .. ومن ثمَّ فإنه يجب تربية الأولاد على البرِّ ، والصّدقِ ، والطاعة ، والمروءة ، والأمانة ، والتعاون ، والإخاء ، والإيثار ، وجميع الأخلاق الكريمة التى أَوْصَى بها نبينا (ﷺ) ، مع العِلْمِ بأن خير التربية وأفضلها القدوة الحسنة ، فالولد من عمل أبيه ، بدليل قول الرسول (ﷺ) : (إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ : إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ) ^(٦) ..

(١) رواه مسلم كتاب المساجد . ^(٢) وجد : حزن . (٣) رواه البخارى كتاب الأذان .

(٤) النحلة : العطية بلا مقابل . (٥) رواه الترمذى كتاب البر والصلة . (٦) رواه مسلم كتاب الوصية .

والتربية الصالحة تُثمر في الدنيا برّاً بالوالدين ، فيجد الوالدان في كبرهما ، وشيخوختهما حصاد ما زرعاه في أبنائهما ..

ونحن نلاحظ في عصرنا الحالى شدة اهتمام الآباء بتعليم الأبناء ، والإنفاق عليهم في المدارس الخاصة ، وفي الدروس الخاصة ، وإشراكهم في النوادي المختلفة ، والاهتمام بملابسهم .. وما إلى ذلك ، وفي الوقت نفسه يغفلون عن تعليمهم قواعد دينهم الحنيف ، الذى يحفظهم في الدنيا والآخرة ، ويعود بالنفع والخير على الوالدين .. والبعض يلقي باللائمة على المجتمع ، أو المدرسة ، أو أصدقاء السوء ، واللوم واقع على البيت بالدرجة الأولى ، ففيه ينشأ الطفل ، ويُقلد أبويه ، ويتلقى منهما مبادئ السلوك ، والأخلاقيات : سليمة كانت أو منحرفة .. وتتضح مسؤولية الأبوين كاملة في قول النبى (ﷺ) : (كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ : فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ)^(١) .. وما الشرائع إلا مجموعة من الأخلاقيات والسلوكيات التى يمكن غرسها في الأطفال منذ نُعومة أظافرهم .. وقدّموا قالوا : (التعليم في الصَّغَرِ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ) ..

فعلى كل والد ووالدة أن يتّقوا الله عزّ وجلّ في أولادهم ، فإنهم نعمة يجب الحفاظ عليها ، وصدق الله تبارك وتعالى إذ يقول : (أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)^(٢) .. والأولاد كذلك امتحان للوالدين ينجحان فيه ، أو يرسبان ، فمن نجح نال الخير العظيم في الدنيا ، والثواب الجزيل في الآخرة .. ومن رسب بآء بالحسرة في

^(١) رواه البخارى كتاب الجنائز . ^(٢) سورة الكهف آية ٤٦ .

الدنيا ، والعقاب فى الآخرة .. لأن الله تبارك وتعالى يقول : (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ)^(١) ..

وسنة رسول الله (ﷺ) حافلة بالإرشاد فى تربية الأولاد ، وكيفية تنشئتهم على مبادئ الإسلام ، فلا حجة لمقصر أو مهمل .. فمنها على سبيل المثال : أمره بالتفريق بين الأولاد فى المضاجع فى سن السابعة ، وأمره بالعدل بين الأبناء فى المنح والعطايا : (اَعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ)^(٢) ..

وهكذا فى كل أمر من أمور التربية نجد توجيهًا قوليًا ، أو توجيهًا فعليًا .. فعلىنا بالرجوع إلى سنته (ﷺ) ، حتى نفوز بالخير العظيم فى الدنيا والآخرة ..



^(٢) رواه البخارى كتاب الهبة .

^(١) سورة التغابن آية ١٥ .

النَّظَافَةُ

النظافة من الإيمان .. والنظافة خُلُقٌ يَتَخَلَّقُ بِهِ الْمُسْلِمُ ، إِذْ يَتَعَوَّدُ النِّظَافَةَ فِي صِغَرِهِ ، حَتَّى تَصْبِحَ خُلُقًا ، لَا مَجْرَدَ عَادَةٍ .. فَهِيَ كَمَا تَكُونُ فِي الْمَلَابِسِ ، وَالْأَجْسَادِ ، وَالْأَمَاكِنِ ، تَكُونُ أَيْضًا فِي السُّلُوكِ ، وَالْأَخْلَاقِ .. وَلَوْ أَمَعَّنَا النَّظْرَ فِي أُمُورِ الشَّرْعِ الْحَنِيفِ لَوَجَدْنَا النِّظَافَةَ تَحْتَ جِزْءٍ كَبِيرًا مِنْهُ .. **فَالْوُضُوءُ** مَا هُوَ إِلَّا النِّظَافَةُ وَالْحُسْنُ ..

يَقَالُ : « وَضُوءٌ يَوْضُوءٌ وَضُوءٌ وَوَضَاءَةٌ » : أَيْ صَارَ نَظِيفًا حَسَنًا .. وَفِي الشَّرْعِ الْوُضُوءُ : غَسْلُ أَعْضَاءٍ غَالِبًا مَا تَكُونُ مُعَرَّضَةً لِلْأَثَرِ وَالْتَلَوُّثِ .. وَالْأَمْرُ بِالْوُضُوءِ لِلصَّلَاةِ الَّتِي تُؤَدَّى خَمْسَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ يَبِينُ أَهْمِيَّةَ النِّظَافَةِ الْمُسْتَمْرَةِ ، وَالنَّبِيُّ (ﷺ) يَقُولُ : (لَوْ لَا أَنَّ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي لِأَمْرِهِمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ وَضُوءٍ)^(١) .. وَيَمُرُّ يَوْمًا عَلَى أَصْحَابِهِ ، فَيَرَاهُمْ يَتَعَجَّلُونَ فِي وَضُوءِهِمْ ، وَلَا يُحَسِّنُونَ غَسْلَ أَقْدَامِهِمْ لِيَدْرِكُوا الصَّلَاةَ فِي وَقْتِهَا ، وَكَانُوا عَلَى سَفَرٍ ، فَيَنَادِي بِهِمْ قَائِلًا : (وَيَلِّ الْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ)^(٢) ، وَأَخَذَ يُكْرِّرُهَا حَتَّى يُتَّقِنُوا غَسْلَ أَقْدَامِهِمْ مَهْمَا ضَاقَ الْوَقْتُ عَنِ الصَّلَاةِ .. وَتَأْكِيدًا لِأَهْمِيَّةِ الْوُضُوءِ يَقُولُ (ﷺ) : (الْوُضُوءُ شَطْرُ الْإِيمَانِ)^(٣) ..

وَمِنْ أَوَامِرِ الْإِسْلَامِ : **الاسْتِنْجَاءُ** ، وَإِزَالَةُ النِّجَاسَةِ عَنِ الْقَبْلِ وَالِدُّبْرِ .. وَانْتِقَاضُ الْوُضُوءِ بِخُرُوجِ شَيْءٍ مِنَ السَّبِيلَيْنِ يَجْعَلُ الْإِنْسَانَ يَتَأَمَّلُ فِي ذَلِكَ ، إِذْ إِنَّ الْأَعْضَاءَ الْمَأْمُورَ بِغَسْلِهَا بَعِيدَةً عَنْ مَكَانِ خُرُوجِ الْفَضَلَاتِ ، وَقَدْ كَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ الْاِكْتِفَاءُ بِتَطْهِيرِ وَتَنْظِيفِ أَمَاكِنِ خُرُوجِ النِّجَاسَةِ ، وَلَكِنْ أَوَامِرُ الشَّرْعِ لَا تُؤْخَذُ بِالْعَقْلِ ، إِنَّمَا

^(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ كِتَابَ الصُّومِ . ^(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ كِتَابَ الْعِلْمِ . ^(٣) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ كِتَابَ الدَّعَوَاتِ .

تُؤْخَذُ بالنقل ، فالهدف هو الطاعة أولاً ، والنظافة ثانياً .. وتقول السيدة « عائشة »
 (رضى الله عنها) : كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) عُمَالاً أَنْفُسِهِمْ ، وَكَانَ يَكُونُ
 لَهُمْ أَرْوَاحٌ ، فَقِيلَ لَهُمْ : لَوْ اغْتَسَلْتُمْ !! ^(١) .. والقائل طبعاً هو رسول الله (ﷺ) ..
 وقد أوصى النبي (ﷺ) باغتسال يوم الجمعة ولبس الثياب النظيفة قبل الذهاب إلى
 المسجد ، فقال : (الْغُسْلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ) ^(٢) .. ويوصى
 بالاستحمام مرة في كل جمعة على الأقل ، كما يُنْبَه إلى قصّ الأظفار ، وتنظيف ما
 بين أصابع اليدين ، والقدمين ، وإزالة شعر الإبط ، والعانة ، وهى أماكن تُشكّل بيئة
 صالحة لنمو الجراثيم ، كما أثبت العلم بعد قرون من الإسلام .. وربنا تبارك وتعالى
 يقول : (يَبْنِيْ ءَادَمَ خُذُوْا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) ^(٣) .. والخطاب لكل مَنْ يريد
 الصلاة في المساجد ، وقال بعض العلماء : بل لكل مَنْ يريد الصلاة سواء في المسجد ،
 أو في البيت .. وقد شرّع الله تبارك وتعالى الاغتسال من الجنابة ، كما شرع الاغتسال
 من الحيض والنفاس للمرأة .. وأمر باعتزال النساء في الحيض .. وكذلك سنّ النبي
 (ﷺ) الاغتسال للإحرام بالحج ، أو العمرة ، وكذلك الاغتسال للتحلل منهما بعد
 أداء المناسك .. والأمر بختان الصبيان ما هو إلا للنظافة .. وقد كان (ﷺ) لا يفارقه
 في سَفَرِهِ : المشط ، والمكحلة ، والطيب ، وكان يأمر بغسل شعر الرأس ، وتمشيطه ،
 وينصح الرجال بالتزّين لنسائهم ، كما يحبون أن تتزّين لهم نساؤهم .. وقد جاءه
 رجل يوماً فرآه رثّ الثياب فسأله إن كان له مال ، وحين علم منه أنه ذو مال قال

^(١) رواه البخارى كتاب البيوع . ^(٢) رواه البخارى كتاب الأذان . ^(٣) سورة الأعراف آية ٣١ .

له : (إِنْ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ)^(١) .. ولو تأملنا في كل ما حَكَمَ الإسلام بنجاسته ، لوجدنا أنه مُسْتَقْدَرٌ أصلاً : فالبول ، والبراز ، وروث البهائم ، والدم كلها نجسة ، وكلها مُسْتَقْدَرَاتٌ بحكم الفطرة ..

وتتضح أهمية النظافة من قول الحق تبارك وتعالى : (وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ)^(٢) .. كما كان الأمر بالنظافة من أول الأوامر التي أوصى الله بها خاتم المرسلين (ﷺ) إذ يقول له : (يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ)^(٣) .. وقد أمر الإسلام بنظافة البدن ، والثياب ، والمكان ، إذ إن طهارة مكان الصلاة شرط لصِحَّةِ الصلاة .. وكان على عهد رسول الله (ﷺ) امرأة سوداء تُنَظِّفُ المسجد ، متطوعة بذلك ، وهى امرأة مجهولة لم تذكر كتب السيرة اسمها ، ولم يكن أحد يهتم بها .. فافتقدها رسول الله (ﷺ) يوماً فسأل عنها ، ف قيل له : إنها ماتت بالأمس ودُفِنَتْ .. فقال : (أَفَلَا آذَنْتُمُونِي ؟!) .. قالوا : ماتت من الليل فكرهنا أن نوقظك .. فقال : (دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهَا)^(٤) .. فدُلُّوه على قبرها ، فذهب إلى القبر ، وصَلَّى عليها صلاة الجنازة .. مما يبين أهمية ما كانت تقوم به تلك المرأة من عمل ألا وهو تنظيف المسجد ، إذ إن نظافته أهم من نظافة أى مكان ، فهو بيت الله الذى يجب على كل مسلم مراعاة نظافته ، والحفاظ عليها .. وقد كَرِهَ العلماء الأكل

(١) رواه الترمذى كتاب الأدب . (٢) سورة البقرة آية ١٢٥ . (٣) سورة المدثر الآيات من ١ : ٥ .

(٤) فتح البارى فى شرح صحيح البخارى .

والنوم في المساجد لغير المعتكف .. فإذا انتقلنا إلى الطرقات وجدنا أن نظافتها من الأمور المطلوبة ، والتي حثَّ عليها الإسلام ، فرسول الله (ﷺ) يقول : (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ ، فَأَخْرَهُ ^(١) ، فَشَكَرَ اللَّهَ لَهُ ، فَغَفَرَ لَهُ) ^(٢) .. فإن كان الأمر كذلك .. فلا بد أن يُؤَاخَذَ إذا وضع غصن الشوك في طريق الناس ، فبضدها تتميز الأشياء .. ويقول النبي (ﷺ) : (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ) ^(٣) .. ولا شك أن القاذورات والقمامة - التي يليقها البعض في الطريق العام ، وما يطرحونه من النوافذ والشرف بين البيوت - هو مما يؤذون به الناس فيتعرضون للمُؤَاخَذَةِ والعقاب ، بالإضافة إلى انتشار الحشرات الناقلة للأمراض ، والأوبئة .. وقد أمر النبي (ﷺ) بتغطية الطعام والشراب فقال : (غَطُّوا الْإِنَاءَ ، وَأَوْكُوا ^(٤) السَّقَاءَ) ^(٥) .. كما سَنَ لنا غسل اليدين قبل الطعام وبعده .. وتنظيف الفم والأسنان .. والتطبيب ، وإزالة الروائح الكريهة ، والمُحَافَظَةُ على المظهر .. وأباح لنا الترتين وقال (ﷺ) : (كُلُوا ، وَاشْرَبُوا ، وَالْبُسُوا ، وَتَصَدَّقُوا ، فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ ، وَلَا مَخِيلَةٍ ^(٦)) ^(٧) ..

وقد كان (ﷺ) مثلاً في النظافة ، والطهارة ، وحسن المظهر ، وطيب الرائحة .. وكان - من حرصه على طيب رائحته - لا يأكل الثوم النيئ ، ولا البصل أبداً ، حتى تبقى رائحة فمه طيبة ، وكان ينهى أصحابه عن الذهاب إلى المسجد إذا أكلوا

(١) أخره : أبعدته عن الطريق . (٢) رواه البخاري كتاب الأذان . (٣) رواه البخاري كتاب النكاح .

(٤) أو كوا : اربطوا وشدوا . (٥) رواه مسلم كتاب الأشربة . (٦) مخيلة : فخر وتكبر .

(٧) رواه البخاري كتاب اللباس .

من هذه الأصناف حتى لا يُؤذوا المصلين برائحة أفواههم ، وقد سار أصحابه
(رضوان الله عليهم) على نَهْجِه ، وكذلك التابعون حتى أصبح الإسلام عنواناً للنظافة
فى البلاد التى دخلها ، وكان من سِمَات المسلمين المميّزة نظافة أبدانهم ، وثيابهم ،
وأماكن تواجدهم ، فعمرت البلاد ، وانتشرت الحضارة الإسلامية فى ربوع الأرض ،
إذ إن النظافة : (ألف باء) التحضّر ، والحفاظ على الصحة الخاصة والعامة ، وعلى
ما بأيدينا من نعم ..



الْحَيَاءُ

« الحياء » : هو انقباض النفس عن كل قبيح .. وهو خلقٌ يَمْنَعُ صاحبه عن فعل ما قد يُلَامُ عليه .. و« الحياء » فضيلة من فضائل الفطرة ، يُشْعِرُنَا به قول الحق - تبارك وتعالى - حكايةً عن « آدم وحواء » حين أكلا من الشجرة ، فبدت لهما سوءاتهما : (فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا مَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ)^(١) .. وقد فعلا - عليهما السلام - ذلك بالفطرة لستر العورة التي انكشفت بالأكل من الشجرة الْمُحَرَّمَةِ .. و« الحياء » من الإيمان لقول النبي (ﷺ) : (الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً .. فَأَفْضَلُهَا : قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا : إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ .. وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ)^(٢) .. ومهما زاد الحياء في شخص فهو خير له .. فلا حدود للحياء ، لقول النبي (ﷺ) : (الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ)^(٣) .. وقد مرَّ (ﷺ) على رجل من الأنصار وهو يعْظُ أخاه في الحياء - أى يعاتبه على شدة حيائه - فقال (ﷺ) له : (دَعُهُ .. فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ)^(٤) .. ويقول (ﷺ) : (الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ)^(٥) .. وينبئ (ﷺ) على أهمية الحياء فيقول : (إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى : إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ)^(٦) .. والاستحياء يكون إما من الله ، وإما من الناس ، وإما من النفس : فيستحي الإنسان من نفسه ، فلا يفعل في خلوته ما يستحي أن يفعله أمام

(١) سورة الأعراف آية ٢٢ . (٢) رواه مسلم كتاب الإيمان . (٣) رواه مسلم كتاب الإيمان . (٤) رواه البخارى كتاب الإيمان . (٥) رواه البخارى كتاب الأدب . (٦) رواه البخارى كتاب الأدب .

الناس .. ويقول (ﷺ) لأصحابه يوماً : (اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ) .. قالوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ .. قَالَ : (لَيْسَ ذَاكَ ، وَلَكِنَّ الاسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ : أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى ، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى ، وَلِتَذْكُرَ الْمَوْتَ وَالْبَلَى .. وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا .. فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ)^(١) ..

وقد شرح العلماء معنى الحياء من الله فقالوا : هو ألا يفقدك الله حيث أمرك ، وألا يجدك حيث نهاك .. والرأس : يشمل الوجه الذى هو مجمع الحواس ، ففيه : البصر ، والسمع ، والشم ، والذوق ، كما يشمل المخيلة والذاكرة .. وحفظ الرأس وما وعى : هو عدم شغل الإنسان نفسه بما لا يعنيه ، وعدم مراقبة الناس ، أو التجسس عليهم : بالعين ، أو الأذن ، أو ذكر مساوئهم بلسانه ، أو استخدام حواسه فيما لم تُخلق له ، فإن من يتتبع ما يرى فى الناس يطلُ حزنه .. والله تبارك وتعالى لم يُسوِّ بين العقول ، ولم يُماثل بينها ، ومن ثمَّ فيجب ألا يشغل الإنسان نفسه بتصرفات الآخرين ، فهى من حصائد عُقولهم .. وعقل الإنسان محسوب عليه من رزقه .. كما لا يصح أن يشغل الإنسان بغده .. فالله تبارك وتعالى يقول : (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ)^(٢) .. وقد ذكرت الآية أمرين ، وهما أهم ما فى الحياة : الرزق ، والموت .. أما الرزق فقد تكفل الله به إذ يقول : (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ)^(٣) ..

(١) رواه الترمذى كتاب صفة القيامة . (٢) سورة لقمان آية ٣٤ . (٣) سورة الروم آية ٤٠ .

ويقول لحبيه المصطفى (ﷺ) : (لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ)^(١) .. ويبين الحق تبارك وتعالى أن أمر الرزق بيده ، وأنه مُقَدَّر ومكتوب فيقول : (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ)^(٢) .. وأما الموت والأجل فهذا أيضاً قد أخفاه الله عن الناس ، بل أخفى مواعده ومكانه بقوله : (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ)^(٣) .. ويبين أن الموت ليس لهَارِبٍ منه نَجَاءٌ فيقول سبحانه : (أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ)^(٤) .. كما يُبَيِّن أن الموت وقت مُؤَجَّل ، وأن تحديد الأجل بيده فيقول عز وجل : (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ)^(٥) ..

وعليه فلا يجب أن يشغل الإنسان نفسه بالرزق أو بالأجل ، فتلك أمور قد تكفل الحق - تبارك وتعالى - بها .. بل عليه أن ينشغل بتحسين علاقته بالله ، والتفكير في آلائه وآياته .. ويتضح ذلك جلياً في قول الله عز وجل : (وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)^(٦) .. وقد سأل رجل رسول الله (ﷺ) فقال : متى الساعة ؟ .. فقال (ﷺ) : (وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا ؟)^(٧) .. فَبَيَّن (ﷺ) أن التفكير يَجِبُ أن يكون فيما يَجِبُ على الإنسان ، وليس فيما كُتِبَ عليه .. كما ينحى القرآن باللائمة على مَنْ يفكر فيما لا يَجِبُ بقوله : (بَلْ يُرِيدُ

(٣) سورة لقمان آية ٣٤ .

(٢) سورة الذاريات آية ٢٢ .

(١) سورة طه آية ١٣٢ .

(٦) سورة هود آية ١٢٣ .

(٥) سورة الأعراف آية ٣٤ .

(٤) سورة النساء آية ٧٨ .

(٧) رواه البخارى كتاب المناقب .

الْإِنْسَانُ لِفَجْرٍ أَمَامَهُ ﴿٦﴾ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَمَةِ (١) .. كما لا يصح للإنسان أن يشغل فكره بتصرفات الآخرين ، أو يفكر في إيدائهم ، والإيقاع بهم ، أو التجسس عليهم ، أو إساءة الظن بهم ، أو استخدام حواسه فيما لا يجب ، حتى يحفظ الرأس وما وعى .. وأما حفظ البطن وما حوى : فهو إشارة إلى السيطرة على شهوات البطن والفرج ، فلا يأكل إلا من حلال .. وقد روى أن سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) قال : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اذْعُ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَنِي مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ .. فقال له النبي (صلى الله عليه وسلم) : (يَا سَعْدُ ، أَطْبُ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ .. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، إِنَّ الْعَبْدَ لَيَقْذِفُ اللَّقْمَةَ الْحَرَامَ فِي جَوْفِهِ مَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُ عَمَلٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَأَيُّمَا عَبْدٍ نَبَتْ لَحْمُهُ مِنَ السُّحْتِ وَالرِّبَا ، فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ) (٢) .. ويين (صلى الله عليه وسلم) أن مَنْ يَأْكُلُ مِنْ حَرَامٍ تُغْلَقُ فِي وَجْهِهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، فقد قال (صلى الله عليه وسلم) : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا .. وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ : (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) ، وَقَالَ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) .. ثُمَّ ذَكَرَ (صلى الله عليه وسلم) الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ ، أَشْعَثَ ، أَغْبَرَ ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ : (يَا رَبِّ .. يَا رَبِّ) ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ - فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ ؟! (٣) .. وَحِفْظُ الْفَرْجِ عَنْ الْحَرَامِ مِنْ أَهَمِّ الْأُمُورِ الَّتِي نَبَّهَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهَا بِقَوْلِهِ : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ

(١) سورة القيامة الآيتان ٥ ، ٦ . (٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط . (٣) رواه مسلم كتاب الزكاة .

وَتَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ^١ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ^٢ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَتَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ^(١) .. وَيُشْنَىٰ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَلَى الْمُسْتَجِيبِينَ لَأَمْرِهِ بقوله : (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٤٦﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ)^(٢) .. ومن العَجَب أن تتكرر الآيتان نفسيهما بالنص في سورة المعارج (الآيتان ٢٩ ، ٣٠) .. وهذا يؤكد أهمية حفظ الفرج الذى به تُحَفَظُ الأنساب ، بالإضافة إلى ما جاء فى القرآن من النهى عن الزنا ، أو مُقَدِّماته ، والوعيد عليه بأشدَّ العذاب فى أكثر من موضع ..

وأما ذكر الموت والبلى .. فقد قيل : مَنْ أَرَادَ وَاِعْظَا فَاَلْمَوْتُ يَكْفِيهِ .. وتذكر الموت من أهم الأمور التى تقى الإنسان الوقوع فيما يُغْضِبُ الله ، وقد كان ذكر الموت ، وما يعقبه من أهم ما امتنَّ الله به على الْمُخْلِصِينَ مِنْ عِبَادِهِ ، إذ يقول سبحانه : (وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ)^(٣) .. والبلى : هو الفناء ، وتذكر البلى معناه : أن يَتَيَقَّنَ الإنسان أن كل ما على الأرض إلى زوال : فلا يَتَمَسَّكْ به ، أو يتصارع من أجله ، فَجَسَدُهُ إلى فناء بما أكل ، وما لبس فى دنياه ، والحق - تبارك وتعالى - يقول : (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٦٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ)^(٤) .. وذكر الموت والبلى يجعل الإنسان يتذكر وقوفه بين يدى الله يوم القيامة ، وسؤاله : عما

^(١) سورة النور الآيتان ٣٠ ، ٣١ . ^(٢) سورة المؤمنون الآيتان ٥ ، ٦ . ^(٣) سورة ص الآيتان ٤٥ ، ٤٦ .

^(٤) سورة الرحمن الآيتان ٢٦ ، ٢٧ .

فعل ، ومن أين اكتسب ، وفيَمَ أنفق ، وفي أى شىء أفنى عمره وشبابه ، فيستحي من الله أن تكون إجاباته مُخزِية له غير مُرضية لله .. والحياء من الناس : أن تراعى في تصرفاتك ، وكلامك مع الآخرين أن لا تخدش حيائهم ، أو تجرح إحساسهم ، أو تمس شعورهم ، وقد روى عن رسول الله (ﷺ) أنه لم يواجه أحداً بما يكرهه .. وكان أشد حياء من العذراء في خدرها .. وكان يقول (ﷺ) : (الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ .. وَالْبَدْءُ مِنَ الْجَفَاءِ ، وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ)^(١) .. ويقول (ﷺ) : (لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا حَيَاءَ لَهُ)^(٢) .. وانعدام الحياء من الناس من أهم الأسباب في تفشّي المعاصي ، والمجاهرة بها ، ويحذر النبي (ﷺ) هؤلاء الذين فقدوا حيائهم فيقول : (كُلُّ أُمَّتِي مُعَافٍ إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ)^(٣) .. أى إن مَنْ استحيى من الناس ، فأخفى معاصيه عنهم قد يكون قريباً من توبة الله عليه .. أما من جهر بمعصيته ، فهو محروم من عفو الله تبارك وتعالى ، ومحروم من العافية ، ومُعَرَّض للفضيحة ، والخزى ، والعار .. ومن الحياء أن لا تطلع على عورات الناس ، ولا تطلعهم على عورتك .. والنساء اللاتي فقدن الحياء ، فكشفن ما يجب ستره من عوراتهن ، مُهَدِّدات بالحرمان من الجنة ، بل من شَمَّ ريحها ، إذ يقول النبي (ﷺ) : (صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمْ بَعْدُ : نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ^(٤) مَائِلَاتٌ^(٥) مُمِيلَاتٌ^(٦) ، عَلَى

^(١) رواه الترمذى كتاب البر والصلة . ^(٢) رواه ابن أبي الدنيا فى مكارم الأخلاق .

^(٣) رواه البخارى كتاب الأدب . ^(٤) كاسيات عاريات : ثيابهن شفافة تصف ، أو محسورة لا تستر .

^(٥) مائلات عن الحق .. أو : مائلات يمشين بتيختهم وميوعة .

^(٦) ميلات لأكتافهن أثناء المشى ، ومميلات للنظر إليهن .

رُءُوسِهِنَّ أَمْثَالُ أُسْنَمَةِ الْإِبِلِ ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا .. وَرِجَالُ
مَعَهُمْ أَسْيَاطٌ كَأَذْنَابِ ^(١) الْبَقَرِ ، يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ ^(٢) .. ويقول (ﷺ) : (أَيْمًا
امْرَأَةٌ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا مِنْ رِيحِهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ) ^(٣) .. ولفظ
الزَّنا في هذا الحديث من باب المجاز اللغوي التحذير والتخويف مما يؤدي إليه تبرُّج
النساء .. لقول ابن عباس (رضى الله عنهما) : مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَشْبَهَ بِاللَّمَمِ مِمَّا قَالَ
أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) : (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزَّنا ، أَدْرَكَ
ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ : فَرِئَا الْعَيْنِ النَّظْرُ ، وَزِنَا اللِّسَانِ الْمُنْطِقُ ، وَالنَّفْسُ تَمْنَى
وَتَشْتَهِي ، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ) ^(٤) ..

ومن الأفعال التي تخذش الحياء ، وتدل على انعدام الحياء في مُرْتَكِبِيهَا ما نراه في
بعض الطرقات ، والأماكن من تصرفات بعض الشباب من الْجَنَسِيِّينَ .. وكذلك ما
نراه في الأفلام والمسلسلات (من مشاهد خليعة وخارجة ، واحتساء للخمر ، وما
إلى ذلك) دون حسيب أو رقيب ينهى عن ذلك مما يُعَرِّضُ الأمة للخطر في الدنيا :
بالانصراف عن العمل ، والإنتاج ، إلى ارتكاب الفواحش ، واللَّهو المحرَّم .. وكذلك
يُعَرِّضُها لغضب الجبار ، فقد أَهْلَكَ سبحانه وتعالى قوم « لوط » لأنهم جاهرُوا
بالمعاصي كما يحكى القرآن عنهم في قوله : (أَيْتَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطِعُونَ
السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ) ^(٥) .. وعلى القائمين بالأمر أن يتقوا الله عز
وجل فيما يُعَرِّضُ على الناس في وسائل الإعلام ، ويدخل عليهم بيوتهم ، فلا

(١) أذنان : ذبول . (٢) رواه أحمد باقى مسند الكثيرين . (٣) رواه أبو داود كتاب الزينة .

(٤) رواه البخارى كتاب القدر . (٥) سورة العنكبوت آية ٢٩ .

يستطيعون أن يمنعوا أبناءهم ، وبناتهم عنه ، وتذهب محاولاتهم في التربية السليمة ، وغرس القيم في نفوس أبنائهم أدراج الرياح .. كما أن الفاحشة إذا ظهرت في قوم عمَّهم الله بالبلاء ، وانتشرت الأمراض والأوبئة ، وزالت البركة من أرزاقهم ، وأصيبوا بالقحط والمجاعة .. فرسول الله (ﷺ) يقول : (لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشًا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا .. وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ ^(١) وَشِدَّةِ الْمُنُونَةِ ^(٢) وَجَوْرِ ^(٣) السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ .. وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ ، وَلَوْ لَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمَطَّرُوا .. وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ .. وَمَا لَمْ تَحْكَمْ أُمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهَمِهِمْ بَيْنَهُمْ) ^(٤) ..

أما الحياء من النفس : فهو أن لا يكون في خلوة الإنسان من الأفعال ما يستحي أن يطلع عليه الناس ، وأن يكون ظاهره كباطنه ، وسره كجهره ، فالبر ما انشرح له الصدر ، وأحببت أن يطلع عليه الناس .. والإثم ما حاك في الصدر ، وخشيت أن يطلع عليه الناس .. ومن الحياء من النفس أن لا تنهى عن شيء وأنت تفعله ، فقد قيل : (لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ .. عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ) .. وربنا تبارك وتعالى يقول : (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَتْلُونَ

(١) السنين : الجذب والقحط . (٢) المنونة : التعب والثقل . (٣) الجور : الظلم ، والميل عن الحق .

(٤) رواه ابن ماجه كتاب الفتن .

أَلِكْتَبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١) .. والنبي (ﷺ) يقول : (يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ ، فَتَدْلُقُ (٢) أَقْتَابُهُ (٣) فِي النَّارِ ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ (٤) ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ : أَيُّ فُلَانٍ ، مَا شَأْنُكَ ؟! أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ ؟! قَالَ : كُنْتُ أَمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ ، وَأَنْهَأُكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ (٥)) ..

وَيُعَلِّمُنَا (ﷺ) الْحَيَاءَ فِي خُلُوتِنَا مَعَ نِسَائِنَا فَيَقُولُ : (إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ أَهْلُهُ فَلْيَسْتَرْ ، وَلَا يَتَجَرَّدْ تَجَرُّدَ الْعَيْرَيْنِ (٦)) (٧) ..

وقد رَوَى عن السيدة «عائشة» (رضى الله عنها) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) كَانَ جَالِسًا ، كَاشِفًا عَنْ فَخْذِهِ ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ ، فَأَذَنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى حَالِهِ ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ ، فَأَذَنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى حَالِهِ ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ ، فَأَرْخَى عَلَيْهِ ثِيَابَهُ .. فَلَمَّا قَامُوا قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اسْتَأْذَنَ عَلَيْكَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَأَذَنْتَ لَهُمَا ، وَأَنْتَ عَلَى حَالِكَ ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ أَرْخَيْتَ عَلَيْكَ ثِيَابَكَ ؟! فَقَالَ : (يَا عَائِشَةُ ، أَلَا أَسْتَحْيِي مِنْ رَجُلٍ ، وَاللَّهِ ، إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَسْتَحْيِي مِنْهُ) (٨) ..

والحياء في كل الأمور مطلوب إلا في السؤال عن أمور الدين ، فلا حياء في الدين ، ولا يصح أن يمنع الحياء إنساناً أن يسأل عن دينه ، وقد جاءت أمُّ سُلَيْمٍ إِلَى

(١) سورة البقرة آية ٤٤ . (٢) تدلق : تقع وتسقط . (٣) أقتابه : أمعاؤه وأحشاؤه .

(٤) برحاه : بحجر الطاحون التي يديرها ، والمراد دورانه حول مربطه .

(٥) رواه البخاري كتاب بدء الخلق . (٦) العيرين : الجمالين . (٧) رواه ابن ماجه كتاب النكاح .

(٨) رواه أحمد باقى مسند الأنصار .

النَّبِيُّ (ﷺ) فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ، فَهَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلٍ إِذَا احْتَلَمَتْ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : (نَعَمْ ، إِذَا رَأَتْ الْمَاءَ) ^(١) .. وكانت « أم سلمة » (رضي الله عنها) جالسة فغطت وجهها ، وقالت : فَضَحَتْ النِّسَاءُ ، لكن النبي (ﷺ) لَمْ يُعْنَفِ الْمَرْأَةَ عَلَى سُؤْلِهَا .. وكذلك ورد أن امرأة سألت النبي (ﷺ) عن كيفية التطهر من الحيض فأجابها دون أن يعترض على سؤالها أو يُعْنَفِهَا عَلَيْهِ ..

وليبيان أهمية الحياء وخطورة عدم التخلق به ، يقول (ﷺ) : (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ عَبْدًا ، نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ ، فَإِذَا نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا مَقِيَّتًا مُمَقَّتًا ، فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا مَقِيَّتًا مُمَقَّتًا ^(٢) نُزِعَتْ مِنْهُ الْأَمَانَةُ ، فَإِذَا نُزِعَتْ مِنْهُ الْأَمَانَةُ لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا خَائِنًا مُخَوَّنًا ، فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا خَائِنًا مُخَوَّنًا نُزِعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةُ ، فَإِذَا نُزِعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةُ لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا رَجِيمًا ^(٣) مُلْعَنًا ، فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا رَجِيمًا مُلْعَنًا نُزِعَتْ مِنْهُ رِبْقَةُ ^(٤) الْإِسْلَامِ) ^(٥) ..



^(١) رواه مسلم كتاب الحيض . ^(٢) المقت : أشد البغض . ^(٣) رجيما : أى مرجوماً مطروداً .

^(٤) الربقة : طوق يُوضع في عنق الدابة ، والمراد : العهد . ^(٥) رواه ابن ماجه كتاب الفتن .

التَّوَاضُّعُ

التَّوَاضُّعُ هو أن تضع نفسك حيث يجب لها أن تُوضَعَ ، دون تكبرٍ وافتخار ، ودون ذلٍّ وهوان .. فالتواضع وسط بين الكبر وبين الذلَّة .. فالمؤمن ليس مُتَكَبِّراً ، وليس ذليلاً .. والتواضع من خُلُقِ المرسلين .. ويقول النبي (ﷺ) : (مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ دَرَجَةً ، رَفَعَهُ اللَّهُ دَرَجَةً ، حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي عِلِّيِّينَ .. وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى اللَّهِ دَرَجَةً ، وَضَعَهُ اللَّهُ دَرَجَةً ، حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ)^(١) .. ويقول : (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ .. وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا .. وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ)^(٢) .. ويأمر ربُّنا تبارك وتعالى حبيبه المصطفى (ﷺ) بالتواضع فيقول له : (وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ)^(٣) .. ويؤكد عليه ثانية بقوله : (وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)^(٤) ..

والتواضع زينة العلماء ، والكبراء .. ويضرب لنا الإمام الأعظم « أبو حنيفة النعمان » مثلاً رائعاً في التواضع ، على رغم ما كان له من ذبوع صيت ، ورأى ثاقب ، وفقه عظيم ، فهو شيخ الأئمة ، وصاحب المذهب الذي اتَّبعه كثير من الناس ، فقد ذهب لحج بيت الله الحرام .. وبعد ما فرغ من رمي الجمرة الكبرى جلس إلى حلاق ليحلق رأسه .. فيحكى ويقول : تَعَلَّمْتُ مِنْ حَلَّاقٍ بِمَكَّةَ خَمْسَةَ أَشْيَاءَ مِنَ النَّسُكِ : إِذْ أَرَدْتُ أَنْ أَحْلِقَ رَأْسِي ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ أَجْرِهِ ، فَقَالَ : لَا تَشَارِطْ عَلَى النَّسُكِ فَإِنَّ الْحَلْقَ

(١) رواه أحمد باقى مسند المكثرين . (٢) رواه مسلم كتاب البر والصلة . (٣) سورة الحجر آية ٨٨ .

(٤) سورة الشعراء آية ٢١٥ .

نُسُكٌ .. ثم يقول « أبو حنيفة » فجلست إليه كيفما اتفق ، فقال لى : اتَّجِهْ إِلَى الْقِبْلَةِ .. فَاتَّجَهْتُ إِلَى الْقِبْلَةِ ، وَأَعْطَيْتُهُ شِقَّ رَأْسِي الْأَيْسَرِ .. فقال لى : أَعْطِنِي شِقَّ رَأْسِكَ الْأَيْمَنِ .. فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ (ﷺ) يُحِبُّ الْيَأْمَنَ فِي كُلِّ شَيْءٍ .. فَأَعْطَيْتُهُ شِقَّ رَأْسِي الْأَيْمَنِ ، وَجَلَسْتُ سَاكِنًا .. فقال لى : اذْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى فَإِنَّكَ فِي نُسُكٍ .. فَفَعَلْتُ .. وَبَعْدَ مَا انْتَهَى الْحَلَّاقُ مِنْ عَمَلِهِ قَمْتُ لِأَنْصَرِفَ ، فَقَالَ لى : صَلِّ رَكَعَتَيْنِ .. فَفَعَلْتُ .. ثُمَّ سَأَلْتُهُ : مِنْ أَيْنَ لَكَ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ « عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ » يَفْعَلُ هَذَا ^(١) .. وَهَكَذَا نَجِدُ عِظْمَةَ « أَبِي حَنِيفَةَ » فِي تَوَاضُعِهِ : كَيْفَ أَنَّهُ لَمْ يَخْجَلْ مِنْ حِكَايَةِ الْقِصَّةِ لِلنَّاسِ ، ضَارِبًا لَهُمُ الْمَثَلَ بِنَفْسِهِ ، مُعَلِّمًا إِيَّاهُمْ كَيْفَ يَكُونُ التَّوَاضُّعُ ..

وَمِنْ أَمْثَلَةِ التَّوَاضُّعِ فِي الْقُرْآنِ مَا حُكِيَ عَنْ سُلَيْمَانَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) .. الَّذِي لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا فَقَطْ ، بَلْ كَانَ مَلِكًا لَمْ يَحْظَ مَلِكٌ فِي الْوُجُودِ بِمِثْلِ مُلْكِهِ .. فَقَدْ عَلَّمَ مَنَظِقَ الطَّيْرِ ، وَسُخَّرَتْ لَهُ الشَّيَاطِينُ ، وَسَادَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ جَمِيعًا فِي زَمَانِهِ ، وَسَبَّحَتْ بِتَسْبِيحِهِ الْجِبَالُ وَالطُّيُورُ ، وَسُخَّرَتْ لَهُ الرِّيحُ فَكَانَتْ تَحْمِلُهُ حَيْثُ شَاءَ ، وَتَأْتِمُرُ بِأَمْرِهِ .. وَمَعَ كُلِّ ذَلِكَ الْجَاهُ وَالسُّلْطَانُ .. يَحْكِي عَنْهُ الْقُرْآنُ مَوَاقِفَ تَسْتَدْعِي التَّأَمُّلَ ، مِنْهَا :

(وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا تَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ

(١) ذكره المحب الطبري .

فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) ^(١) .. وهكذا نرى كيف تواضع لله .. ولم يَسْتَطِلْ بهذه النعمة - وهى سماعه لحديث نَمْلَةٍ وهو فى هذا الحشد الهائل من الْجُنْد - على أحد من رَعِيَّتِهِ ، ولم يتباه فيحدثهم عن ذلك .. وموقف آخر له ، حيث افتقد الِهْدُودُ ، ولم يجده فى مكانه ، من هذا الحشد الذى يصعب حصره ، فهْدَدَ وتوَعَّدَ ، ولكنه فى تهديده التمس الأعذار لهذا الِهْدُودِ .. ويحكى القرآن الكريم عن هذا الموقف بالقول : (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الِهْدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ) ^(٢) ، وكأنه احتمل أمرين : الأمر الأول أن يكون قد أخطأ رؤية الِهْدُودِ ، والأمر الثانى أن يكون الِهْدُودُ قد تخلف عن مكانه ، وغاب عنه .. فنرى أنه قدّم احتمال عدم رؤيته للِهْدُودِ على الاحتمال الآخر .. ومن مواقفه أيضاً ما يحكيه القرآن عن الحوار الذى دار بينه وبين الِهْدُودِ فى قوله تعالى : (فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِءَ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ) ^(٣) .. ولا شك أن الكلام يوحى بجرأة الِهْدُودِ ، واطمئنانه لعدل « سُلَيْمَانَ » وحِلْمِهِ .. فَمَنْ مِنَ الْمُلُوكِ والرؤساء يسمح لأحد من رعيته أن يقول له : (أحطت بما لم تُحِطْ به) ، فضلاً عن رؤساء المصالح ، والهيئات ، وغيرهم .. والكلام بين الِهْدُودِ و« سُلَيْمَانَ » تَمَّ أمام الرعية - ولو من الطيور على الأقل - ومع ذلك ، استمع له « سُلَيْمَانَ » حتى آخر كلامه ، ثم قال له كما يحكى القرآن : (سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) ^(٤) .. بل وقدّم الصدق على

^(١) سورة النمل الآيات من ١٧ : ١٩ . ^(٢) سورة النمل آية ٢٠ . ^(٣) سورة النمل آية ٢٢ .

^(٤) سورة النمل آية ٢٧ .

الكذب تواضعاً للهذه ، ولعدم اتهامه بغير دليل .. والأعجب من كل ذلك أن يكلفه هو نفسه بالذهاب بكتابه إلى الملكة التي حكى عنها ، ويعود إليه بالخبر ، ولم يكلف غيره بتحرى صدقه ، أو صدق القصة ، فقال له كما يحكى القرآن : (أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ)^(١) .. ومن مواقف « سُلَيْمَانَ » أيضاً ما حكاها القرآن عنه حين جاءه عرش « بَلْقِيس » قبل أن يرتد إليه طرفه ، حيث تواضع لله ، ولم يتكبر بهذا الإعجاز الذى لم يحدث له مثيل فى التاريخ .. وظهر تواضعه العظيم فى قوله كما حكى القرآن : (فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ)^(٢) ..

وكذلك نجد « يوسف » (عليه السلام) حين آتاه الله الملك ، وجاءه إخوته الذين كادوا له ، وفعلوا به ما فعلوا !! وهم محتاجون إلى الطعام ، نجده يقول لهم كما يحكى القرآن الكريم عنه : (لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)^(٣) .. وحين يتم له الملك ، وتبسط له الدنيا ، ويأتى بأبويه وإخوته إلى رحابه يلجأ إلى ربه تبارك وتعالى داعياً : (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ)^(٤) ..

(٣) سورة يوسف آية ٩٢ .

(٢) سورة النمل آية ٤٠ .

(١) سورة النمل آية ٢٨ .

(٤) سورة يوسف آية ١٠١ .

وقد كان نبينا (ﷺ) في تواضعه مثلاً يُحتذى ، فقد كان يجالس فقراء المسلمين من أهل الصُّفَّة أمثال : بلال ، وصُهَيْب ، وخبَّاب (رضى الله عنهم جميعاً) ، ويأكل معهم ، ويحدثهم ، ويسمع منهم ، ويأذن لهم ، ولا يحتجب عنهم ، كما علمه ربه تبارك وتعالى بقوله : (وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ^ط وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ^ط وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا) ^(١) .. وكذلك حين بنى مسجده كان ينقل الحجارة مع أصحابه .. وكذلك أثناء حفر الخندق في غزوة الأحزاب كان (ﷺ) يحفر معهم يداً بيد .. ويروى أبو أمامة (رضي الله عنه) فيقول : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) ، وَهُوَ مُتَوَكِّئٌ عَلَى عَصَا ، فَقُمْنَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ : (لَا تَقُومُوا كَمَا تَقُومُ الْأَعَاجِمُ ، يُعْظَمُ بَعْضُهَا بَعْضًا) ^(٢) .. ويروى أن رجلاً جاء إليه (ﷺ) يَكَلِّمُهُ ، فَأَرَعَدَ ^(٣) الرَّجُلُ ، فَقَالَ (ﷺ) له : (هَوْنٌ عَلَيْكَ ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ) ^(٤) ^(٥) .. وتحكى السيدة « عائشة » (رضى الله عنها) وتصف حالته في بيته (ﷺ) فتقول : كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ - تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ - فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ ^(٦) .. وحين سُئِلَتْ : مَا كَانَ النَّبِيُّ (ﷺ) يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ ؟ قَالَتْ : (كَمَا يَصْنَعُ أَحَدُكُمْ ، يَخْصِفُ نَعْلَهُ) ^(٧) ،

^(١) سورة الكهف آية ٢٨ .

^(٢) أرعد : ارتجف واضطرب من الخوف .

^(٣) رواه البيهقي في دلائل النبوة .

^(٤) يخصف نعله : يُصلحها .

^(٥) رواه أحمد باقى مسند الأنصار .

^(٦) القديد : اللحم المملوح المجفف في الشمس .

^(٧) رواه البخارى كتاب الأذان .

وَيَرْقُ ثَوْبَهُ (١) ..

وقد تأدب الأصحاب بأدبه (ﷺ) ، وتخلَّقوا بأخلاقه .. فمن تواضع أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) ما يُحكى عنه من أنه كان يَحْلُبُ لِلْحَيِّ أَغْنَامَهُمْ ، فَلَمَّا بُوِيعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ قَالَتْ جَارِيَةٌ مِنَ الْحَيِّ : الْآنَ لَا يَحْلُبُ لَنَا مَنَائِحَنَا (٢) .. فَسَمِعَهَا أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ : (بَلَى ، لَعَمْرِي لِأَحْلِبَنَّهَا لَكُمْ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا يُغَيِّرَنِي مَا دَخَلْتُ فِيهِ عَنْ خُلُقٍ كُنْتُ عَلَيْهِ) (٣) .. وكذلك ما روى عن تواضع عُمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وهو أمير المؤمنين ، وقصة رسول كسرى حين رآه فقال : (حَكَمْتُ ، فَعَدَلْتُ ، فَأَمَنْتُ ، فَنِمْتُ) .. مما أهاج قريحة أحد كبار الشعراء (٤) فأنشد فيها شعراً يقول فيه :

وراعَ صاحبَ كسرى أن رأى عمرًا	بينَ الرعيَّةِ عُطلاً وهو راعيها
فوقَ الثرى تحتَ ظلِّ الدَّوحِ مُشْتَملاً	بُردَةً كادَ طُولُ الْعَهْدِ يُليها
وعَهْدُهُ بِمُلُوكِ الْفُرسِ أنَّ لها	سوراً منَ الجُندِ والحُرَّاسِ يَحْميها
رآه مُستَغْرِقاً في نومه فرأى	فيه الجلالةَ في أسمى معانيها
فقالَ قولته حَقُّ أَصَبَتْ مثلاً	وأصبحَ الجَيلُ بَعْدَ الجَيلِ يروِيها
أمنتَ لَمَّا أَقَمْتَ الْعَدْلَ بَيْنَهُمُو	فَنِمْتَ نَوْمَ قَرِيرِ الْعَيْنِ هَانِيها

وما حُكِيَ عن تواضع أصحاب رسول الله (ﷺ) أكثر من أن يُحصى ، وأشهر من أن يُجهل ، ويكفى أن نذكر واحداً منهم ألا وهو « حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ »

(١) رواه أحمد باقى مسند الأنصار .

(٢) المنحة : الدابة الحلوب تعار للانتفاع بلبنها .

(٣) أسد الغابة لابن الأثير .

(٤) الشاعر : حافظ إبراهيم في : (العُمريَّة) .

صاحب الفتوحات الكبرى ، وقائد الجيوش التي فتحت الكثير من بلاد فارس ، ذلك الصحابي الجليل الذي كان يُلقَّب بصاحب سرِّ رسول الله (ﷺ) .. فقد ولاه « عمر ابن الخطاب » إمارة « المدائن » أعظم بلاد فارس ، وخرج الناس يستقبلونه ، وإذا به يدخل عليهم البلد بمفرده يركب حماراً ، وبیده كسرة من خبز يأكلها بملح .. فقالوا : ماذا تأمرنا ؟ قال : أسألکم علماً لحماري .. قالوا : عظنا يا صاحب رسول الله ، فقال : (إِيَّاكُمْ وَمَوَاقِفَ الْفِتَنِ) .. قيل : وَمَا مَوَاقِفَ الْفِتَنِ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ؟ .. قال : (أَبْوَابُ الْأُمَرَاءِ ، يَدْخُلُ أَحَدُكُمْ عَلَى الْأَمِيرِ فَيَصَدِّقُهُ بِالْكَذِبِ ، وَيَقُولُ مَا لَيْسَ فِيهِ)^(١) ..

ولقد كان التواضع سمة رئيسية في علماء السلف فلم يتكبر أحدُهم بعلمه .. وكذلك كان في أغنيائهم فلم يتكبر أحدُهم بماله ، ومنهم الصحابي الجليل « عبدُ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ » (رضي الله عنه) الذي كان من أغنى أغنياء الصحابة ، وهو من العشرة المُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ ، ويقول عنه أصحابه : أهل المدينة شركاء لابنِ عَوْفٍ في ماله : فَثَلَّثَهُمْ يَتصدق عَلَيْهِمْ ، وَثَلَّثَهُمْ يَقْرِضُهُمْ ، وَثَلَّثَهُمْ يَهْدِي لَهُمْ^(٢) .. وصدق رسول الله (ﷺ) إذ يقول : (وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ)^(٣) ..



^(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء . ^(٢) أسد الغابة لابن الأثير . ^(٣) رواه مسلم كتاب البر والصلة .

العفة

العفة خلق من أخلاق المرسلين ، والأنبياء ، والصالحين .. والتعفف درجات :
فمن الناس من يتعفف عن الحرام ، وهي درجة من درجات التقوى .. ومن الناس من يتعفف عن الشبهات ، وهي درجة من درجات الورع .. ومنهم من يتعفف عن الحلال ، وهي درجة من درجات الزهد .. وقد أمر ربنا تبارك وتعالى الأوصياء على اليتامى بالتعفف عن مال اليتيم إن كانوا أغنياء ، فلا يأخذوا شيئاً مقابل الوصاية أو رعاية المال ، وبالأكل منه بالمعروف إن كانوا فقراء ، فقال : (وَابْتَلُوا الَّذِينَ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا) وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ)^(١) .. كما أثنى سبحانه وتعالى على الفقراء الذين يتعففون عن السؤال على رغم شدة حاجتهم فقال : (لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا)^(٢) ، وكأن شدة الجوع ، والمخمصة ظهرت على وجوههم ، ومع ذلك لا يتكففون الناس ، ولا يسألونهم مهما آلمهم الجوع ، وأضر بهم ..

والتعفف عن المال له أمثلة كثيرة في القرآن ، منها ما حدث مع « سليمان »

^(٢) سورة البقرة آية ٢٧٣ .

^(١) سورة النساء آية ٦ .

(عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، حيث جاءته الهدايا من مَلَكةٍ سَبَّأ ، ومع ذلك رفضها ، كما يحكى القرآن عنه : (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ أْتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَنِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ)^(١) .. وما من رسول ولا نبيٍّ إلا قال لقومه : (وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ^ط إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ)^(٢) ..

ويُروى عن « عمر بن عبد العزيز » - الملقَّب بخامس الخلفاء الراشدين - أنه حين تولى الخلافة خيَّر زوجته بين البقاء معه على شَظَفِ العيش ، والتخلّي عن مجوهراتها وممتلكاتها لبيت المال ، وبين الطلاق مع احتفاظها بما تملك ، فاختارت البقاء معه ، وتنازلت لبيت المال عن كل ما منحها أبوها الذي كان من الخلفاء السابقين .. وكان أول أمر أصدره « عُمرُ بن عبد العزيز » هو تخلّي أهله وأقربائه من بنى أمية عن كل ما منحهم الخليفة السابق من منَحٍ وعطايا ، وردّها إلى بيت المال .. فجاءته عمته وقالت : يا بُنَيَّ ، مالك وما فعله من سبقك !!؟ إن كان ما فعله صواباً حرّم عليك أخذ أموال أهلِكَ .. وإن كان ما فعله خطأ فلست مسئولاً عن خطأ غيرك .. فرفض « عمر بن عبد العزيز » هذا المنطق وأصر على رأيه ، فقالت عمته مهددة : يا بُنَيَّ ، إني أخاف يوماً تجتمع عليك فيه بنو أمية .. فقال « عمر » : يا عَمَّةُ ، كُلُّ يَوْمٍ دُونَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَخَافُهُ لَا وَقَانِي اللَّهُ شَرَّهُ .. ويقول أحد معاصريه : لقد كان « عمر بن عبد العزيز » مرفّهاً مُنَعَّمًا مكتنز اللحم قبل

^(١) سورة النمل الآيتان ٣٥ ، ٣٦ . ^(٢) سورة الشعراء الآيات : ١٠٩ ، ١٢٧ ، ١٤٥ ، ١٦٤ ، ١٨٠ .

أن يتولى الخلافة ، فلما أصبح خليفة للمسلمين تغير حاله .. ووالله ، لو شئت أن أعدّ أضلاعه لعددتها ضلعاً ضلعاً من شدة هزاله .. ودخل عليه أحد وزرائه يوماً يعرض عليه أمور الدولة ، فلما فرغ بدأ الوزير يسامره .. فأمهله « عُمَر » قليلاً ، وقام فأطفأ السراج ، وأوقد سراجاً غيره .. فتعجب الوزير ، وقال : يا أمير المؤمنين ، لا أرى بأساً بالسراج الذى أطفأته ، فلمَ فعلت ذلك ؟ قال : السراج الذى أطفأته يُوقد بزيت من بيت مال المسلمين ، بحثت أمور الدولة معك على ضوءه ، فلما انتقلنا إلى شئوننا الخاصة أطفأته ، وأسرجتُ سراجاً يُوقد بزيت من مالى الخاص .. ذلك مثال من أمثلة ورع الحكام ، وتعففهم عن مال الدولة .. وقد كان « عمر بن عبد العزيز » فى ذلك مقتدياً بجده « عُمَر بن الخطاب » (رضي الله عنه) ، فقد روى زيد بن أسلم عن أبيه قال : أصاب الناس سنة غلاً فيها السمن ، وكان عمر (رضي الله عنه) يأكله ، فلما قلَّ قال : (لا آكله حتى يأكله الناس) ، فكان يأكل الزيت فيقرقر بطنه ، فيقول : (قرقر ما شئت ، فوالله لا تأكلُ السمنَ حتى يأكله الناس) .. ثم قال لي : (اكسر حرّة عني بالنار) .. فكنت أطبخه له فيأكله ^(١) ..

وقد كان « عمر » فى ذلك مقتدياً بـ « أبي بكر الصديق » (رضي الله عنه) .. الذى لما احتضر قال : (يا عائشة ، انظري اللقحة ^(٢) التي كُنا نشربُ من لبنها ، والجفنة ^(٣) التي كُنا نصطبحُ ^(٤) فيها ، والقطيفة التي كُنا نلبسُها ، فإنّا كُنا ننتفعُ بذلك حين كُنا في أمر المسلمين ، فإذا متُّ فاردّديه إلى عُمَر) .. فلما مات أبو

(٣) الجفنة : القصعة .

(٢) اللقحة : الناقة الحلوب .

(١) رواه البيهقى .

(٤) نصطبح : نشرب أول النهار .

بكر (رضي الله عنه) أرسلت به إلى عمر (رضي الله عنه) ، فقال عمر : (رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ، لَقَدْ أَتَعَبْتَ مَنْ جَاءَ بِعَدِّكَ)^(١) ..

وكلهم في ذلك مقتدون بسيد الخلق (صلى الله عليه وسلم) الذي قالت عنه السيدة « عائشة » (رضي الله عنها) : (مَا شَبَعَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّى قُبِضَ)^(٢) .. وَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ : كَانَ يَمُرُّ بِرَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) هَلَالٌ ، وَهَلَالٌ ، وَهَلَالٌ ، مَا يُوقَدُ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِهِ نَارٌ .. قُلْتُ يَا خَالَةَ : عَلَى أَيِّ شَيْءٍ كُنْتُمْ تَعِيشُونَ ؟! قَالَتْ : عَلَى الْأَسْوَدَيْنِ : التَّمْرِ وَالْمَاءِ^(٣) .. وَقَدْ كَانَ (صلى الله عليه وسلم) يَرِبْطُ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِهِ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ ..

والتعفف عن المال أحد أنواع التعفف ، فهناك التعفف عن النساء أيضاً .. ومن أمثلة ذلك ما حدث مع « يُوسُفُ الصَّدِّيقُ » (عليه السلام) حين دعتَه امرأة العزيز لنفسها ، فقال كما يحكى القرآن الكريم : (مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)^(٤) .. وحين اجتمعت عليه النساء المرفهات ، وهُدِّدَ بالسجن إذا لم يستجب قال كما يحكى القرآن : (رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ)^(٥) .. ومن السبعة الذين يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : رَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ ، فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ^(٦) ..

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير . (٢) رواه الترمذی كتاب الزهد . (٣) رواه أحمد باقی مسند الأنصار .

(٤) سورة يوسف آية ٢٣ . (٥) سورة يوسف آية ٣٣ . (٦) رواه البخاری كتاب الزكاة .

وحين هاجر « عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ » (رضي الله عنه) إلى المدينة ، وآخى النبي (صلى الله عليه وسلم) بينه وبين « سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ » ، كان من ضمن ما قاله سَعْدُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ : لِي مَالٌ ، فَنَصْفُهُ لَكَ .. وَلِي امْرَأَتَانِ ، فَأَنْظُرْ أَحَبَّهُمَا إِلَيْكَ حَتَّى أُطْلِقَهَا ، فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا تَزَوَّجْهَا .. فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ ، دُلُونِي عَلَى السُّوقِ ^(١) .. وذهب إلى السوق محاولاً الارتفاق بجهدته وعرقه ، وحين علم النبي (صلى الله عليه وسلم) بذلك سُرَّ من فعله ، ودعا له بالبركة ، واستجاب الله دعاء نبيه (صلى الله عليه وسلم) ، وأصبح « عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ » من أغنى أغنياء المدينة ، حتى قال عن نفسه : (فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي وَلَوْ رَفَعْتُ حَجْرًا لَرَجَوْتُ أَنْ أُصِيبَ ذَهَبًا أَوْ فِضَّةً) ^(٢) .. كناية عن أن الرزق كان يأتيه من حيث لا يدرى ولا يحتسب .. وصدق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذ يقول : (الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى .. وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ .. وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غَنَى .. وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ يُعْفِهِ اللَّهُ ، وَمَنْ يَسْتَعْنِ يُعْنِهِ اللَّهُ) ^(٣) .. ومن العفة أن تستر المرأة عورتها ، ولا تُبْدِي زِينَتَهَا إِلَّا لِلْمَحَارِمِ ، كما أمرها الله عز وجل ، حتى وإن كانت كبيرة السن ، إذ يقول الحق تبارك وتعالى : (وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَغْفِرْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ) ^(٤) وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ^(٥) ..



^(١) رواه أحمد باقى مسند المكثرين . ^(٢) رواه أحمد باقى مسند المكثرين . ^(٣) رواه البخارى كتاب الزكاة .
^(٤) سورة النور آية ٦٠ .

الأمانة

الأمانة ضد الخيانة .. وتطلق على الصِّفة التي يتصف بها الإنسان ، فيقال : فلان أمين ، أى : مُتَّصِف بالأمانة .. وقد تطلق على الشيء الذى يُؤْتَمَن عليه الإنسان : مادياً كان أو معنوياً .. فأسرار الناس : أمانة لدى مَنْ يستشيرونه فى أمورهم ، لقول النبى (ﷺ) : (الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ)^(١) .. وكذلك أمراضهم ، وما يصابون به : أمانة لدى الطبيب المعالج لا يصح له أن يفشيها .. وما يودعه الإنسان لدى غيره من أموال وبضائع ، وما إلى ذلك : أمانة يجب الحفاظ عليها حتى يطلبها صاحبها .. وجوارح الإنسان وأعضاؤه : أمانة يجب عليه أن يحافظ عليها ، وهو مسئول عنها يوم القيامة ، وقد أمر الله تبارك وتعالى عباده بحفظ الأمانة ، كما أمر بأدائها لأربابها ، إذ يقول : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ)^(٢) .. ويقول : (يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)^(٣) ..

وأداء الأمانة لا يتوقف على أمانة مَنْ ائْتَمَنَكَ ، وإنما يتوقف على أمانتك أنت التي يجب أن تتَّصِف بها إن كنت مُسْلِمًا حقًا ، لقول النبى (ﷺ) : (أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَىٰ مَنْ ائْتَمَنَكَ ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ)^(٤) .. وقد اتصف هو (ﷺ) بها فى كل شيء قبل بعثته ، حتى لقبه قومه بالأمين ، وحين هاجر إلى المدينة أمر « على بن أبى

^(١) رواه الترمذى كتاب الأدب . ^(٢) سورة النساء آية ٥٨ . ^(٣) سورة الأنفال آية ٢٧ .

^(٤) رواه الترمذى كتاب البيوع .

طالب « بالبقاء حتى يؤدي الأمانات إلى أصحابها ، على رغم ما كان منهم من :
كُفْرٍ ، وعِنَادٍ ، وأذى له ولأصحابه ..

والأمانة شأنها خطير ، فالحق تبارك وتعالى يقول : (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ تَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ
كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)^(١) .. وهناك أنواع عديدة من الأمانة : كأمانة الكلمة ، وأمانة
النقل ، وأمانة العلم ، وأمانة الدعوة إلى الله ، وأمانة التعامل بين الناس في مجالاته
المختلفة : كالتجارة ، والصناعة ، والزراعة ، وما إلى ذلك .. والأمانة لكي تتحقق
في شخص ما ، لا بد أن يكون مُتَّصِفًا بالصدق والإخلاص ، فلا أمانة لكاذب ، ولا
أمانة لمُراءٍ .. وقد أطلق الله تعالى على « جبريل » لقب الأمين ، لأنه مُسْتَأْمَنٌ على
الوحي الذي ينزل به على الرُّسُل ، فلا يُطْلَعُ عليه أحدًا غيرهم ، ويبلغه إليهم دون
نقص ، أو زيادة ، ودون تحريف ، أو تبديل : (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ)^(٢) .. (مُطَاعٍ
ثُمَّ أَمِينٍ)^(٣) ..

والأمانة من صفات الرسل جميعًا ، فهم مُسْتَأْمَنُونَ على الرِّسَالَةِ يبلغونها كما
أنزلت إليهم دون انتظار لأجر من أحد ، ومهما لقوا من تعنت وأذى أقوامهم ..
وقد وصف الحق تبارك وتعالى رُسُلَهُ بالأمانة في مثل قوله عز وجل : (إِذْ قَالَ لَهُمْ
أَخُوهُمْ نُوحُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ)^(٤) .. وقوله : (إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ

(١) سورة الأحزاب آية ٧٢ . (٢) سورة الشعراء آية ١٩٣ . (٣) سورة التكوين آية ٢١ .

(٤) سورة الشعراء الآيتان ١٠٦ ، ١٠٧ .

هُودٌ أَلَّا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١﴾ .. وقوله : (إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَاحُّ
 أَلَّا تَتَّقُونَ ﴿١٢٥﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٢﴾ .. وقوله : (إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَّا
 تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٣﴾ .. وقوله : (إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَّا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾
 إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٤﴾ .. وقوله : (وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ
 رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧٨﴾ أَنْ أَذْهَبَ إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٥﴾ .. وقوله : (أُبَلِّغُكُمْ
 رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦﴾) ..

وكما أن الأمانة من صفات الرُّسُل ، فهي من صفات الصالحين في كل مكان
 وزمان ، من إنس وجن ، وها هو القرآن يحكى عن عِفْرِيت من الجن قوله لِسُلَيْمَانَ
 (عَلَيْهِ السَّلَام) حين طلب أن يأتيه أحدهم بعرش بلقيس : (أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ
 مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٧﴾) .. وكذلك وصفت ابنة شُعَيْبٍ مُوسَى
 (عَلَيْهِ السَّلَام) بالأمانة قبل أن يكون رسولا بقولها : (يَتَأْتِ أَسْتَعِجِرُهُ إِنِّ خَيْرٌ مَنِ
 أَسْتَعِجَرْتُ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ ﴿٨﴾) ..

والأمانة في تبليغ الوحي تتضح تماما من قول أم المؤمنين « عائشة » (رضى الله
 عنها) : لَوْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) كَاتِمًا شَيْئًا مِنَ الْوَحْيِ لَكَتَمَ هَذِهِ الْآيَةَ : (وَتُخْفَى

(٢) سورة الشعراء الآيتان ١٤٢ ، ١٤٣ .

(٤) سورة الشعراء الآيتان ١٧٧ ، ١٧٨ .

(٦) سورة الأعراف آية ٦٨ .

(٨) سورة القصص آية ٢٦ .

(١) سورة الشعراء الآيتان ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٣) سورة الشعراء الآيتان ١٦١ ، ١٦٢ .

(٥) سورة الدخان الآيتان ١٧ ، ١٨ .

(٧) سورة النمل آية ٣٩ .

فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ (١) .. (٢)

ومما يفزع ويخيف أن الأمانة سوف تُرفع من الأرض ضمن عشر جواهر يرفعها « جبريل » (عليه السلام) قبل قيام الساعة كما يحكى رسول الله (ﷺ) في قوله :
(يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ ، فَيُظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْتِ (٣) ..
ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ ، فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ (٤) ، كَجَمْرِ دَخَرَجْتُهُ عَلَى
رَجْلِكَ فَفَنَطَ (٥) ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ (٦) .. فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ ، لَا
يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ ، حَتَّى يُقَالَ : إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا ، حَتَّى يُقَالَ
لِلرَّجُلِ : مَا أَجْلَدَهُ ! مَا أَظْرَفَهُ ! مَا أَعْقَلَهُ ! وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ
مِنْ إِيْمَانٍ (٧) ..

والمسلم الحق هو الذى يراقب نفسه فى تعامله مع الحق تبارك وتعالى ، ومع
الناس ، ومع نفسه ، لكى يتصف بالأمانة فى كل أموره ، وحتى يتقى بغض الله عز
وجل له : (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ) (٨) .. وإليك أمثلة لأنواع من الأمانة ، وكيف
تحافظ عليها لتكون نبراساً يضىء لك الطريق فى جميع أنواع الأمانات التى سوف
يسأل عنها الإنسان يوم القيامة ..

(١) سورة الأحزاب آية ٣٧ . رواه الترمذى كتاب تفسير القرآن . (٢) الوكت : العلامة اليسيرة .

(٤) المجل : هو النفخ الذى يرتفع من جلد باطن اليد عند العمل بفأس أو نحوه ، يحتوي على ماء ثم يصلب .

(٥) فنط : أي ارتفع جلدها وانتفخ .

(٦) منتبراً : مرتفعاً جلده من لحمه ، والمراد : خلو القلوب من الأمانة كما يخلو المجل المنتبر عن شيء يحويه .

(٧) رواه البخارى كتاب الرقاق ، ومسلم كتاب الإيمان . (٨) سورة الأنفال آية ٥٨ .

١ - أمانة العلم :

والعلم نعمة من الله وفضل اختصَّ به بعض عباده .. فمن رزقه الله العلم ، ووفَّقه لدعوة الناس ، وتعليمهم ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر .. لا بد أن يرفعى هذه النعمة ، ويحافظ عليها بدوام الاطلاع والمراجعة ، فدوام العلم مذاكرته .. وعليه أن لا يتحزَّب لرأى ، أو يتحيزَّ لفكر ، وأن يكون الحق ضالته ، وأن يرفق بمن يعلمهم ، ويزين علمه بالحلم ، وأن يكون أميناً في نقله للعلم ، وينسبه إلى أصحابه ، ولا ينكر فضلهم عليه - فمن العلم أن يُنسب العلم إلى قائله - وعلى العالم أن يكون أميناً على حديث رسول الله (ﷺ) لأنه يقول : (إِنْ كَذَبَا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبِ عَلَى أَحَدٍ ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)^(١) .. ولا يلوى معاني القرآن ليؤيد وجهة نظره ، ولا ينتقى من الأحاديث ما يتفق ورأيه ، بل يكون رأيه وفكره خاضعين للحق .. وأن يفتح صدره لكل الآراء والمذاهب ، ولا يهاجم غيره بمجرد أنه يخالفه الرأى ، فالعلم واسع ، والقرآن حمّال وجوه .. وعليه أن ينزع من قلبه : الغلّ ، والحقّد ، والحسد لغيره من العلماء الذين قد نالوا من الشهرة ، أو حُبّ الناس ما لم ينله هو ، ولتذكر قول الإمام مالك (رحمته الله) : (بَلَغَنِي أَنَّ الْعُلَمَاءَ يُسْأَلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا يُسْأَلُ عَنْهُ الْأَنْبِيَاءُ)^(٢) .. وقد قال رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (رضي الله عنه) يَوْمَ خَيْبَرٍ : (انْفُذْ عَلَيَّ رِسْلَكَ)^(٣) حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ

(١) رواه البخارى كتاب الجنائز .

(٢) فقه العبادات على المذهب المالكي .

(٣) انفذ على رسلك : امض واذهب بتأن وتمهل .

يَهْدِي اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ ^(١) (٢) ..
٢- أمانة التعامل :

وتتمثل في أن تكون أمينًا على ما استودعك الغير من أسرارٍ بدافع الصداقة ، أو الاستشارة ، أو بسبب مهنتك : كالأطباء ، والمحامين ، وغيرهم .. فلا تفشيها ، ولا تهمس بها لأحد مهما قرب منك .. وإن كنت تاجرًا فيايك والغش ، أو الخيانة ، فرسول الله (ﷺ) يقول : (مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا) ^(٣) .. ويقول : (الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا ، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيْنَا بُورِكْ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا ، وَإِنْ كَذَبَا وَكُتِمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا) ^(٤) .. وإياك وأكل أموال الغير بالباطل ، فالنبي (ﷺ) يقول : (مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَمِينِهِ ^(٥) ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ) .. فقال له رجلٌ : وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : (وَإِنْ قَضِيًّا مِنْ أَرَاكَ ^(٦)) ^(٧) .. وإن اقترضت مالا فلا تقترض إلا للضرورة ، على أن تكون متيقنًا من قدرتك على السداد ، ناويًا ذلك بقلبك نية صادقة ، فالرسول (ﷺ) يقول : (مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا ، أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ .. وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِثْلَافَهَا ، أَثْلَفَهُ اللَّهُ) ^(٨) .. وقد ورد عنه (ﷺ) أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسَلِّفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَقَالَ : ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أَشْهَدُهُمْ ، فَقَالَ : كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ، قَالَ :

(١) حمر النعم : الإبل الحُمْر ، وهى أنفُس أموال العرب . (٢) رواه البخارى كتاب المغازى .

(٣) رواه مسلم كتاب الإيمان . (٤) رواه البخارى كتاب البيوع .

(٥) أى مَنْ امتلك حق أخيه المسلم ظلماً بالحلف الكاذب . (٦) قضيب من أراك : عود السّواك .

(٧) رواه مسلم كتاب الإيمان . (٨) رواه البخارى كتاب الاستقراض .

فَأْتَنِي بِالْكَفِيلِ ، قَالَ : كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا ، قَالَ : صَدَقْتَ ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ، فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ ، فَقَضَى حَاجَتَهُ ، ثُمَّ التَّمَسَ مَرَكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدُمُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَلُهُ فَلَمْ يَجِدْ مَرَكَبًا ، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا ، فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ ، ثُمَّ زَجَجَ مَوْضِعَهَا ^(١) ، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْبَحْرِ ، فَقَالَ : اَللّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ فَسَأَلَنِي كَفِيلًا فَقُلْتُ : كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا ، فَرَضِي بِكَ ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا فَقُلْتُ : كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ، فَرَضِي بِكَ ، وَأَنِّي جَهِدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرَكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا .. فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ ^(٢) فِيهِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرَكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ .. فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرَكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ ، فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا ، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ .. ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ ، فَأَتَى بِالْأَلْفِ دِينَارٍ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرَكَبٍ لَأَتِيكَ بِمَالِكَ ، فَمَا وَجَدْتُ مَرَكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ .. قَالَ : هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ ؟ .. قَالَ : أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرَكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ !! .. قَالَ : فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الْخَشَبَةِ .. فَأَنْصَرَفَ بِالْأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا .. ^(٣)

كما يجب عليك أن تعلم أن أحكام القضاء لا تُحلُّ حرامًا ، لقوله (ﷺ) : (إِنَّكُمْ

^(١) زجج موضعها : أى سوى موضع النقر وأصلحه . ^(٢) ولجت : دخلت .

^(٣) رواه البخارى كتاب الحوالة .

تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ ، وَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ ، وَإِنَّمَا أَقْضِي لَكُمْ عَلَى نَحْوِ مِمَّا أَسْمَعُ مِنْكُمْ ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ يَأْتِي بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ (١) .. وإن استأجرت عاملاً ، فإياك أن تظلمه حقه ، أو تتراخى في إعطائه إياه ، فرسول الله (ﷺ) يقول : (أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرْقُهُ) (٢) .. وإن كنت صانعاً فإياك أن تبالغ فيما تستحقه من أجر أو تهمل في صنعتك ، لأن النبي (ﷺ) يُبَشِّرُ العاملين بأيديهم ، الأمناء في أعمالهم بقوله : (طَلَبُ الْحَلَالِ مِثْلُ مُقَارَعَةِ (٣) الْأَبْطَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَمَنْ بَاتَ عَيَّيًّا (٤) مِنْ طَلَبِ الْحَلَالِ بَاتَ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ رَاضٍ) (٥) ..

ويوصي (ﷺ) باتقان العمل ، والإخلاص فيه بقوله : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ) (٦) .. وإن كنت موظفاً مسئولاً عن التعامل مع جماهير الناس ، وقضاء مصالحهم فاحذر التقصير ، لأنه خيانة للأمانة ، واحذر أن تشق عليهم .. والنبي (ﷺ) يحذر من ذلك بقوله : (اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْتَقُّ عَلَيْهِ .. وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ) (٧) .. وإياك وطلب الرِّشَا .. فقد لعن رسول الله (ﷺ) الرَّاشِيَّ ، وَالْمُرْتَشِيَّ ، وَالرَّائِشَ

(١) رواه ابن ماجه كتاب الأحكام .

(٢) المقارعة : المضاربة بالسيوف .

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان .

(٤) رواه مسلم كتاب الإمارة .

(٥) رواه ابن ماجه كتاب الأحكام .

(٦) العي : التعب الشديد .

(٧) رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده .

(يَعْنِي الَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمَا) ^(١) .. واعلم أن الهدايا بسبب وظيفتك تعتبر من الرشوة التي لعن النبي (ﷺ) أصحابها .. وإن كنت حاكماً ، أو راعياً ، أو بيدك أمور الناس فتذكر قول النبي (ﷺ) عن الإمامة : (إِنَّهَا أَمَانَةٌ ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا ، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا) ^(٢) .. وكيفيك أن تعلم أن أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » - الذي هو مَنْ هو - روى أنه أخذ تَبَنَةً مِنَ الْأَرْضِ فَقَالَ : (لَيْتَنِي هَذِهِ التَّبَنَةُ ، لَيْتَنِي لَمْ أَكُ شَيْئًا ، لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي ، لَيْتَنِي كُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا) ^(٣) .. وحين طُلب منه أن يَسْتَخْلِفَ وهو مَطْعُون قد خرجت أحشائه قال : (وَدِدْتُ أَنِّي نَجَوْتُ مِنْهَا كَفَافًا ، لَا لِي ، وَلَا عَلَيَّ ، لَا أَتَحْمَلُهَا حَيًّا وَلَا مَيِّتًا) ^(٤) ..

وهكذا حيثما كان موقعك ، أو مكانك في المجتمع ، فأنت مطالب بأن تكون أمينًا في تعاملك مع غيرك ، ويوضح ذلك حديث رسول الله (ﷺ) الذي يقول فيه : (أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ : فَالِإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ .. وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ .. وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ .. وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ .. أَلَا فِكُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) ^(٥) ..

^(١) رواه أحمد وأحمد باقي مسند الأنصار . ^(٢) رواه مسلم كتاب الإمامة . ^(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان .

^(٤) رواه البخاري كتاب الأحكام . ^(٥) رواه البخاري كتاب الأحكام .

٣- الأمانة مع النفس :

والنفس أمانة ، يقول الله في شأنها : (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۖ) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ^(١) .. وكذلك الحواس والجوارح أمانة يُسأل عنها الإنسان ، لقول الله عز وجل : (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) ^(٢) .. وكذلك المال ، والجاه ، والزوجة ، والولد ، وكل ما خَوَّلَكَ الله وأعطاكَ إياه : أمانة تُسأل عنها يوم القيامة .. والنبى ﷺ يقول : (لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خَصَالٍ : عَنْ عُمْرِهِ : فِيمَا أَفْنَاهُ .. وَعَنْ شَبَابِهِ : فِيمَا أَبْلَاهُ .. وَعَنْ مَالِهِ : مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ، وَفِيمَا أَنْفَقَهُ .. وَعَنْ عِلْمِهِ : مَاذَا عَمِلَ فِيهِ) ^(٣) .. والناس يتفاوتون في حظوظهم من هذه الأمانات ، وكل منهم يُسأل في حدود ما منحه الله منها .. بل وهم متفاوتون في حظوظهم من العقل كذلك ، فعقل الإنسان محسوب عليه من رزقه ..

٤- الأمانة مع الله :

تتمثل في صحة العقيدة فلا تشوبها شائبة من الشرك الجلى أو الخفى ، وقد أخذ الله العهد على عباده حين خلقهم وأشهدهم على أنفسهم ، ثم ذكّرهم بذلك في قوله تعالى : (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ۖ) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ

^(٢) سورة الإسراء آية ٣٦ .

^(١) سورة الشمس الآيتان ٩ ، ١٠ .

^(٣) رواه الترمذى والطبرانى والبخارى .

أَفْتَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ) ^(١) .. وكذلك تتمثل الأمانة مع الله في أداء الشهادات ، وعدم كتمانها ، أو تحريفها ، والله تعالى يقول : (وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ رِءَاثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) ^(٢) .. وتتمثل كذلك في المحافظة على الأيمان : (وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا) ^(٣) .. بل وفي إبرار المُقسِم كما أمرنا النبي (ﷺ) ، وهو أن تفعل ما حلف عليك إنسان أن تفعله إذا لم يكن إثماً .. وهكذا في كل تعاملٍ لك مع الله عز وجل ، وفي كل حق من حقوقه تبارك وتعالى يجب أن تكون أميناً حافظاً لما استودعه فيك من فطرة سليمة ، واستحفظك إياه من أمانة ..



^(٢) سورة البقرة آية ٢٨٣ .

^(١) سورة الأعراف الآيتان ١٧٢ ، ١٧٣ .

^(٣) سورة النحل آية ٩١ .

الْحِلْمُ

الْحِلْمُ هو الأناة وضبط النَّفْسِ .. وَالْحِلْمُ ضِدُّ : التَّسْرُّع ، والرُّعُونَةُ ، والجهل ..
وَالْحِلْمُ خُلُقٌ قد يهبه الله لِمَنْ يشاء فيصبح الإنسان حَلِيمًا بفضل الله دون جهد منه ..
وقد يُكْتَسَبُ الْحِلْمُ بالمحاولة والمجاهدة ، مصداقًا لقول رسول الله (ﷺ) : (إِنَّمَا الْعِلْمُ
بِالتَّعَلُّمِ ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ .. وَمَنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطَهُ ، وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يُوقَهُ)^(١) ..
ويروى أنه قد وفَدَ على النبي (ﷺ) الْمُنْذِرُ الْأَشْجُ (رضي عنه) في رفقة من عَبْدِ
الْقَيْسِ ليزوره ، فأناخ راحلته ثم عقلها ، وطرح عنه ثوبين كانا عليه ، وأخرج من
عَيْتِهِ^(٢) ثوبين حسنين فلبسهما - وذلك بعين رسول الله (ﷺ) يرى ما يصنع -
ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ (ﷺ) ، فَقَالَ (ﷺ) لَهُ : (إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ)^(٣) يُحِبُّهُمَا اللَّهُ : الْحِلْمُ ،
وَالْأَنَاءَةُ) .. قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا ، أَمْ اللَّهُ جَبَلَنِي^(٤) عَلَيْهِمَا ؟ قَالَ :
(بَلِ اللَّهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا) .. قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا
اللَّهُ وَرَسُولُهُ ..^(٥)

وَالْحِلْمُ من أخلاق الأنبياء ، فقد وصف الله به « إسماعيل (عليه السلام) » قبل أن
يُولَدَ ، حين بَشَّرَ به أباه « إبراهيم (عليه السلام) » بقوله : (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ)^(٦) ،
وكذلك وُصِفَ به « شُعَيْب (عليه السلام) » على لسان قومه كما يحكى القرآن عنهم :
(قَالُوا يَشْعَبُ أَصْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَأَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا

^(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط . ^(٢) عيته : مستودع ثيابه . ^(٣) خلتين : خصلتين وصفيتين .

^(٤) جبلني : خلقتني وفطرني . ^(٥) رواه أبو داود وابن حبان . ^(٦) سورة الصافات آية ١٠١ .

نَشْتَوُا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (١) ..

وَحِلْمُ الْأَنْبِيَاءِ هُوَ الَّذِي جَعَلَهُمْ يَتَحَمَّلُونَ تَعْنَتَ أَقْوَامِهِمْ ، وَتَكْذِيبَهُمْ لَهُمْ ، وَإِذْأَاءَهُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَسْتَطِيعُوا تَبْلِيغَ رِسَالَاتِ اللَّهِ ، فَيُؤْمِنُ مَنْ يَشْرَحُ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِيمَانِ ، وَتَجِبُ الْحُجَّةُ عَلَى مَنْ أَصْرَّ عَلَى كُفْرِهِ .. وَلِذَلِكَ قِيلَ : الْحِلْمُ سِيّدُ الْأَخْلَاقِ .. وَالْحِلْمُ كَذَلِكَ مِنْ خُلُقِ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ أَثْنَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ : (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) (٢) .. وَبِقَوْلِهِ : (وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ) (٣) .. وَبِقَوْلِهِ : (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ) (٤) ..

وَمِنْ الْحِلْمِ أَنْ يَمْلِكَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ ، وَيَكْبَحُ جِمَاحَهَا ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) : (لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ) (٥) .. وَهَذَا هُوَ التَّحَلُّمُ بِكَظْمِ الْغِيظِ ، أَمَا الْحِلْمُ فَهُوَ عَدَمُ الْغَضَبِ أَصْلًا .. وَلِذَلِكَ كَانَ ثَوَابُ كَظْمِ الْغِيظِ عَظِيمًا ، لِأَنَّهُ فِيهِ مَجَاهِدَةٌ لِلنَّفْسِ ، إِذْ يَقُولُ النَّبِيُّ (ﷺ) : (مَا تَجَرَّعَ عَبْدٌ جَرْعَةً أَفْضَلَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ جَرْعَةٍ غِيظٍ يَكْظُمُهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى) (٦) ..

وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فَقَالَ : إِنَّ لِي قَرَابَةً : أَصِلُهُمْ ، وَيَقْطَعُونِي .. وَأَحْسِنُ إِلَيْهِمْ ، وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ .. وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ ، وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ .. فَقَالَ : (لَنْ

(١) سورة هود آية ٨٧ . (٢) سورة الفرقان آية ٦٣ . (٣) سورة المؤمنون آية ٣ .

(٤) سورة القصص آية ٥٥ . (٥) رواه البخاري كتاب الأدب . (٦) رواه أحمد مسند المكثرين من الصحابة .

كُنْتُ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسْفَهُمُ الْمَلَّ^(١)، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ^(٢) عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ^(٣).. وقال « على بن أبي طالب » (رضي الله عنه) : (ليسَ الْخَيْرُ أَنْ يَكْثَرَ مَالُكَ وَوَلَدُكَ ، وَلَكِنَّ الْخَيْرَ : أَنْ يَكْثَرَ عِلْمُكَ ، وَيَعْظُمَ حِلْمُكَ ، وَأَنْ تُبَاهِيَ النَّاسَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَمِدَتَ اللَّهَ ، وَإِنْ أَسَأْتَ اسْتَغْفَرْتَ اللَّهَ)^(٤).. وقال « وهب بن منبه » : (مَنْ يَرْحَمَ يُرْحَمَ ، وَمَنْ يَصْمُتْ يَسْلَمْ ، وَمَنْ يَجْهَلْ يُغْلَبْ ، وَمَنْ يَعْجَلْ يُخْطِئْ ، وَمَنْ يَحْرِصْ عَلَى الشَّرِّ لَا يَسْلَمْ ، وَمَنْ لَا يَدَعِ الْمِرَاءَ يُشْتَمَ ، وَمَنْ لَا يَكْرَهُ الشَّرَّ يَأْثَمَ ، وَمَنْ يَكْرَهُ الشَّرَّ يُعْصَمَ ، وَمَنْ يَتَّبِعْ وَصِيَّةَ اللَّهِ يُحْفَظْ ، وَمَنْ يَحْذِرِ اللَّهَ يَأْمَنَ ، وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ يَمْتَنِعَ^(٥) ، وَمَنْ لَا يَسْأَلِ اللَّهَ يَفْتَقِرْ ، وَمَنْ لَا يَكُنْ مَعَ اللَّهِ يُخْذَلْ ، وَمَنْ يَسْتَعِنَ بِاللَّهِ يَظْفَرُ^(٦)).. وقال لقمان لابنه : (ثلاثة لَا يُعْرَفُونَ إِلَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ .. لَا يُعْرَفُ : الْحَلِيمُ إِلَّا عِنْدَ الْغَضَبِ ، وَلَا الشُّجَاعُ إِلَّا فِي الْحَرْبِ إِذَا لَقِيَ الْأَقْرَانَ ، وَلَا أَخَاكَ إِلَّا عِنْدَ حَاجَتِكَ إِلَيْهِ)^(٧)..

هذا .. ولا يجوز مقابلة السبِّ بالسبِّ ، والغضب بالغضب ، والغيبة بالغيبة .. وهكذا .. فقد قال رسول الله (ﷺ) : (وَإِنْ أَمْرُؤُ شَتَمَكَ وَعَيَّرَكَ بِأَمْرِ يَعْلَمُهُ فِيكَ ، فَلَا تُعَيِّرْهُ بِأَمْرِ تَعْلَمُهُ فِيهِ ، فَيَكُونَ لَكَ أَجْرُهُ ، وَعَلَيْهِ إِثْمُهُ)^(٨)..

(١) تسفههم المل : تطعمهم الرماد الحار .

(٢) رواه مسلم كتاب البر والصلة .

(٣) يمتنع : يصير منيعاً محمياً .

(٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء .

(٥) ظهير : نصير ومعين ودافع للأذى .

(٦) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء .

(٧) كتاب الحلم لابن أبي الدنيا .

(٨) رواه أحمد ، مسند البصريين .

والْحَلِمُ من صفات الله عز وجل : و« الْحَلِيم » من أسمائه الْحُسْنَى ، وهو القائل
عن نفسه : (وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ)^(١) ..

والله سبحانه وتعالى يشاهد معصية العاصي ، فلا يسارع بالمؤاخذه ، ولا يُعَجِّلُ
بالعقوبة ، بل يُمَهِّلُ العاصي حتى يتوب .. فإن تابَ قَبْلَ تَوْبَتِهِ ، وغفر له السيئات ،
وتجاوز عن الزَّلَّاتِ .. وهو يرزق المخالفين لأمره ، ويستر العصاة ، ويحلم عليهم ،
ولو شاء لأهلكهم ، وما أمهلهم .. وهو القائل سبحانه : (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ
بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهَرِهَا مِنْ دَابَّةٍ)^(٢) ..



^(٢) سورة فاطر آية ٤٥ .

^(١) سورة البقرة آية ٢٣٥ .

الكَرَمُ

الكَرَمُ ، والسَّخَاءُ ، والجُودُ : أسماءٌ لصفاتٍ كريمة ، وأخلاقٍ عظيمة ، تخلَّق بها الرُّسل ، والأنبياء ، والصالحون .. والكَرَمُ ضدُّ البُخْلِ ، كما أن السَّخَاءَ ضدُّ الشُّحِّ .. وأرفع درجات السخاء : «الإيثار» : وهو أن يجود المرء بالمال مع الحاجة إليه .. وهذا ما تخلَّق به الأنصار ، فقد قال أبو هريرة (رضي الله عنه) : أتى رجلُ رسولَ الله (ﷺ) فقال : يا رسولَ الله ، أصابني الجُهدُ ^(١) .. فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ مَا مَعَنَا إِلَّا الْمَاءُ .. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : (أَلَا رَجُلٌ يُضَيِّفُهُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ يَرْحَمُهُ اللَّهُ ؟) .. فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ .. فَأَنْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ ، فَقَالَ : أَكْرَمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) ، فَقَالَتْ : مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي .. فَقَالَ : هَيَّيْ طَعَامَكَ ، وَأَصْبِحِي سِرَاجَكَ ^(٢) ، وَنَوِّمِي صِبْيَانَكَ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً .. فَهَيَّيْ طَعَامَهَا ، وَأَصْبَحْتِ سِرَاجَهَا ، وَنَوِّمْتِ صِبْيَانَهَا ، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَُا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ ، فَجَعَلَ يُرِيَانَهُ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ ، فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ ^(٣) .. فَلَمَّا أَصْبَحَ الرَّجُلُ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فَقَالَ : (لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - أَوْ ضَحِكَ - مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةٍ) .. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ^(٤) .. ^(٥)

ويحكى « عمر بن الخطاب » (رضي الله عنه) فيقول : (أَهْدِي لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ

^(١) الجهد : الشدة والمشقة . ^(٢) أصبحى سراجك : أى أوقديه . ^(٣) طاويين : أى بغير عشاء .

^(٤) سورة الحشر آية ٩ . ^(٥) رواه البخارى كتابى المناقب ، وتفسير القرآن .

رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) رَأْسُ شَاةٍ فَقَالَ : إِنَّ أَخِي فَلَانًا وَعِيَالَهُ أَخْرَجُ إِلَى هَذَا مِنَّا) ..
قال : (فَبَعَثَهُ إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَزَلْ يَبْعَثُ بِهِ وَاحِدًا إِلَى آخِرٍ حَتَّى تَدَاوَلَتْهَا سَبْعَةُ أَبْيَاتٍ
حَتَّى رَجَعَتْ إِلَى الْأَوَّلِ)^(١) ..

وقال « حذيفة العدوي » : انطلقت يوم « اليرموك » أطلب ابن عم لي - ومعني
شيء من الماء - وأنا أقول : إن كان به رَمَقٌ سَقَيْتُهُ ، وَمَسَحْتُ بِهِ وَجْهَهُ ، فإذا أنا
به ، فقلت له : أسقيك ؟ فأشار برأسه أن نَعَمْ ، فإذا أنا برجل يقول : آه ! آه !
فأشار إِلَيَّ ابْنُ عَمِّي أَنْ انْطَلِقَ إِلَيْهِ ، فإذا هو « هشام بن العاص » فقلت : أسقيك ؟
فأشار أن نعم ، فَسَمِعَ آخِرُ يَقُولُ : آه ! آه ! فأشار هشام أن انْطَلِقَ إِلَيْهِ ، فجئته فإذا
هو قد مات ، فرجعت إلى « هشام » فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى ابن عمي فإذا
هو قد مات^(٢) .. رحمة الله عليهم أجمعين ..

والله تبارك وتعالى يأمر بالكرم والجود ، وَيُبَشِّرُ عَلَيْهِ ، وَيُحَذِّرُ مِنَ الْبُخْلِ
وَالْإِمْسَاكِ ، فيقول سبحانه : (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ
وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ^ط وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا
أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ^ج وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٣٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ
بِالْفَحْشَاءِ^ط وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا^ط وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)^(٣) ..

ويبين ربنا تبارك وتعالى السبيل إلى البرِّ ، وهو خُلُقُ الْأَبْرَارِ فيقول : (لَنْ تَنَالُوا

^(٢) تفسير القرطبي سورة الحشر آية ٩ .

^(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان .

^(٣) سورة البقرة الآيتان ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

الْبِرِّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (١) ..

ولقد كان من فضل الله تبارك وتعالى أن جعل الحسنة بعشر أمثالها ، وذلك في جميع أعمال البرِّ والخير إلا الصدقة فإنه جعل الحسنة بسبعمئة ضعف ، وقد يزيد على ذلك ، وهذا الفضل العظيم لم يحظ به أى عمل من الصالحات سوى الإنفاق إذ يقول عز وجل : (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (٢) .. وبيّن النبي (ﷺ) فضل المال إذا كان صاحبه كريماً فيقول : (نِعَمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ) (٣) .. ويحذر (ﷺ) من عاقبة الشُّحِّ فيقول : (اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ : حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ) (٤) ..

ومن أمثلة الكرم ما حدث من « إبراهيم » (عليه السلام) مع أضيافه كما يحكى القرآن عنه : (وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ) (٥) .. جاءهم بعجلٍ وكان عددهم لا يزيد عن أربعة نفر - كما قيل - ولم يأت بشاة ، وقد كانت تكفى وتزيد ، ولم يسألهم إن كانوا يريدون طعاماً أم لا ، بل جاء به على الفور .. وصدق رسول الله (ﷺ) إذ يقول : (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ) (٦) .. ويعيب القرآن على الذين

(١) سورة آل عمران آية ٩٢ . (٢) سورة البقرة آية ٢٦١ . (٣) رواه أحمد مسند الشاميين .

(٤) رواه مسلم كتاب البر والصلة . (٥) سورة هود آية ٦٩ . (٦) رواه البخارى كتاب الأدب .

لا يكرمون الأضياف كما حدث مع « موسى » (عليه السلام) والخضر : (فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ^(١) قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا)^(٢) ..

هذا .. ويزداد فضل الكرم والإنفاق كلما كان ذلك في الخفاء : فمن السبعة الذين يظلمهم الله بظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله : رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ، فَأَخْفَاهَا ، حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ .. والكريم لا يخاف يوم القيامة إذا خاف الناس ، ولا يحزن إذا حزن الناس ، لأن الله تبارك وتعالى يقول : (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)^(٣) .. ويعاتب الله عز وجل يوم القيامة الذين منعوا أموالهم عن السائلين كما ورد في الحديث القدسي : (يَا ابْنَ آدَمَ ، مَرِضْتُ فَلَمْ تُعْدِنِي .. قَالَ : يَا رَبِّ ، كَيْفَ أَعُوذُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟! قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تُعِدْهُ ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ ؟ .. يَا ابْنَ آدَمَ ، اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعَمْنِي .. قَالَ : يَا رَبِّ ، وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟! قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أُطْعِمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي ؟ .. يَا ابْنَ آدَمَ ، اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي .. قَالَ : يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟! قَالَ : اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي)^(٤) .. ولقد كان رسول الله (ﷺ)

(١) سورة الكهف آية ٧٧ . (٢) سورة البقرة آية ٢٧٤ . (٣) رواه مسلم كتاب البر والصلة .

يتعوذ من البخل فيقول : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ)^(١) .. ويقول (ﷺ) : (خَصَلَتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ : الْبُخْلُ ، وَسُوءُ الْخُلُقِ)^(٢) .. ويقول (ﷺ) : (شَرُّ مَا فِي رَجُلٍ : شَحٌّ هَالِعٌ^(٣) ، وَجُبْنٌ خَالِعٌ^(٤))^(٥) ..

ويقول عمرو بن شعيب (رضي الله عنه) : حِينَ صَدَرَ^(٦) رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) مِنْ حُنَيْنٍ وَهُوَ يُرِيدُ الْجِعْرَانَةَ سَأَلَهُ النَّاسُ ، حَتَّى دَنَتْ بِهِ نَاقَتُهُ مِنْ شَجَرَةٍ فَتَشَبَّكَتْ بِرِدَائِهِ حَتَّى نَزَعَتْهُ عَنْ ظَهْرِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : (رُدُّوا عَلَيَّ رِدَائِي ، أَتَخَافُونَ أَنْ لَا أَقْسِمَ بَيْنَكُمْ مَا أَفَاءَ^(٧) اللَّهُ عَلَيْكُمْ ؟! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ سَمُرِ تَهَامَةٍ^(٨) نَعَمَّا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ ، ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بِخِيَلًا ، وَلَا جَبَانًا ، وَلَا كَذَابًا)^(٩) ..

وقد اشتهر « حاتم الطائي » في الجاهلية بالكرم ، وحين وقعت ابنته أسيرة في إحدى الغزوات ، استأذنت على النبي (ﷺ) وحين دخلت عليه قالت : أنا بنت حاتم الطائي ، فقال الرسول (ﷺ) : (خَلُّوا عَنْهَا ، فَإِنَّ أَبَاهَا كَانَ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ)^(١٠) .. وأمر (ﷺ) أصحابه فأطلقوا سراحها ..

(١) رواه البخاري كتاب الدعوات . (٢) رواه الترمذي كتاب البر والصلة .

(٣) هلع : جزع ، يصيب البخيل بعد إخراج حق الله في ماله .

(٤) خالع : شديد ، كأنه يخلع فؤاده من شدة خوفه .

(٥) رواه أبو داود كتاب الجهاد . (٦) صدر : رجع . (٧) أفاء : أعطى وأنعم .

(٨) سمر تهامة : شجر تهامة . (٩) رواه مالك في الموطأ . (١٠) رواه ابن عساكر .

وتقول أم البنين أخت « عُمَرُ بن عبد العزيز » : (أَفُّ لِلْبُخْلِ .. لو كَانَ قَمِيصًا مَا لَبِسْتُهُ .. وَلَوْ كَانَ طَرِيقًا مَا سَلَكَتُهُ)^(١) ..
وصدق رسول الله (ﷺ) إذ يقول : (اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقَّةِ تَمْرَةٍ ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّةَ تَمْرَةٍ ، فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ)^(٢) ..



^(٢) رواه البخارى كتاب المناقب .

^(١) كتاب صفة الصفوة للجوزي .

الوفاء

الوفاء : صفة الأوفياء ، الذين يؤدّون حقوق الآخرين عليهم كاملة غير منقوصة .. والوفاء ضدُّ الغدر ، والغدر من صفات المنافقين لقول النبي (ﷺ) : (آيةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ)^(١) .. وقوله : (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا : إِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ)^(٢) .. والوفاء من صفات المؤمنين .. وقد أمر الله تبارك وتعالى به في مُحْكَم كتابه إذ يقول : (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنََّّ أَلْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا)^(٣) .. (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا)^(٤) .. (يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ)^(٥) .. والوفاء بالعُهود والعُقود هو الالتزام الكامل بما تمَّ الاتفاق عليه مع الغير ، سواء أكان : عدوًّا ، أم صديقًا ، أو مُتَعَامِلًا في التجارة والبُيُوع .. فلو عاهد المسلمون أعداءهم وَجَبَ عليهم تنفيذ بنود المعاهدة وعدم نقضها .. وكذلك لو تمَّ التَّعَاهُدُ مع أحد من الناس على أمور مُعَيَّنة كأن يعهد إليك شخص بمراعاة أولاده بعد وفاته ، أو بتنفيذ وصيته فإنه يجب الوفاء بكل ذلك .. وإن كان بينك وبين أحد ما عَقْدٌ في تجارة أو غيرها - وَالْعَقْدُ شَرِيعَةُ الْمُتَعَاقِدِينَ - وَجَبَ الالتزام بنود العقد التزامًا

(١) رواه البخارى كتاب الإيمان . (٢) رواه البخارى كتاب الإيمان . (٣) سورة الإسراء آية ٣٤ .

(٤) سورة النحل آية ٩١ . (٥) سورة المائدة آية ١ .

كاملاً ، ونبينا (ﷺ) يقول : (الْمُسْلِمُونَ عَلَى شُرُوطِهِمْ)^(١) .. على أن تكون هذه الشروط متفقة مع كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) ، لأن كل شرط يخالف شرع الله مردود ، حتى ولو كان متفقاً عليه بين أطراف العقد ، فقد روى أن رسول الله (ﷺ) قام في الناس ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : (أَمَّا بَعْدُ .. فَمَا بَالُ رِجَالٍ مِنْكُمْ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ !! فَإَيُّمَا شَرَطَ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَهُوَ بَاطِلٌ ، وَإِنْ كَانَ مِائَةَ شَرَطٍ ، فَقَضَاءُ اللَّهِ أَحَقُّ ، وَشَرَطُ اللَّهِ أَوْثَقُ)^(٢) ..

وهناك أمور يجب الوفاء بها ، وإن كانت غير مكتوبة ، مثل : البر بالوالدين ، وهو الوفاء بحقهما الذي تفرضه العلاقات الإنسانية ، والذي أمر به الله سبحانه وتعالى في مُحْكَم كتابه .. وكذلك الوفاء بحق الأولاد من : التربية ، والرعاية ، والتوجيه ، واختيار الزوجة الصالحة التي سوف تصبح لهم أمًّا ، واختيار أسمائهم التي سوف يُنادون بها في الدنيا وفي الآخرة .. وكذلك الوفاء بحق الزوجة من الحنان ، والمودة ، وحسن المعاشرة .. وتتسع دائرة الوفاء لتشمل حقوق الأقارب ، وذوى الأرحام ، والجار في السكن ، ورفقاء السفر ، والمعلمين الخير ، والصادقين معك ، والمخلصين لك .. وهكذا ..

وقبل كل ذلك لابد من الوفاء بعهد الله الذي عهدته إلينا : أن نُؤمن به ولا نُشرك به شيئاً ، والذي ذكّرنا به سبحانه في قوله : (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ)^ط قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن

(١) رواه أبو داود كتاب الأقضية .

(٢) رواه البخارى كتاب العتق .

تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١) ..

وهذا العهد قد أخذه الله على كل بني آدم في عالم الذرّ ، وقبل خلق الدنيا .. ذكره من ذكره ، وغفل عنه من غفل عنه .. ومن رحمة الله تبارك وتعالى أن أخبر الناس به ، ونبّههم له في كثير من الآيات ، ومنها : (وَادْكُرُوا اللَّهَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) (٢) .. وهذا يتطلب أن يكون الإنسان مستقيماً على طريق الله لا تزيغ به الأهواء ، عاملاً بشهادة أن لا إله إلا الله .. إذ إن الإيمان : إقرار باللسان ، واعتقاد بالجنان ، وعمل بالأركان .. وربنا تبارك وتعالى يُنبّه قائلاً : (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) (٣) ..

وقد أثنى الله تبارك وتعالى على المؤمنين بالعهود وبشّرهم بقوله : (وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (٤) .. ويحذر الناقضين للعهد بقوله : (الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (٥) .. وقد روى عن محمد بن كعب القرظي - وهو أحد كبار التابعين - أنه قال : (ثَلَاثُ خِصَالٍ مَنْ كُنَّ فِيهِ كُنَّ

(١) سورة الأعراف الآيتان ١٧٢ ، ١٧٣ . (٢) سورة المائدة آية ٧ . (٣) سورة الأنعام آية ١٥٣ .

(٤) سورة البقرة آية ١٧٧ . (٥) سورة البقرة آية ٢٧ .

عَلَيْهِ : الْبَغْيُ ، وَالنَّكَثُ ، وَالْمَكْرُ) .. وقرأ : (يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ)^(١) ، (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ)^(٢) ، (وَلَا تَحْقِ الْمَكْرَ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ)^(٣) ..^(٤)

وهكذا نجد أن الوفاء بالعهد من أخلاق المؤمنين ، يُثَبِّتُهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِأَنْ يُوفِّيَهُمْ أَجْرَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ : (هَلْ جَزَاءُ إِلَّا حَسَنٍ إِلَّا إِلَّا حَسَنٌ)^(٥) ..
وَأَمَّا نَقْضُ الْعُهُودِ فَهُوَ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ يَرْتَدُّ عَلَيْهِمْ ، وَيَحِقُّ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيًا وَخُسْرَانًا ، ثُمَّ يَلْقَوْنَ فِي الْآخِرَةِ أَشَدَّ الْعَذَابِ ، وَالْهُوَآن ..



^(٣) سورة فاطر آية ٤٣ .

^(٢) سورة الفتح آية ١٠ .

^(١) سورة يونس آية ٢٣ .

^(٤) كتاب ذم البغي لابن أبي الدنيا . ^(٥) سورة الرحمن آية ٦٠ .

العفو

العفو في اللغة : المَحْو .. والعفو يُطْلَق على إسقاط الحق المستحق .. فمن كان له حقُّ عند أحدٍ من الناس كغرامةٍ أو قصاصٍ ، فتنازل عنه ، وأسقطه : فقد عفا .. والعفو من أخلاق الصالحين ، وربُّنا تبارك وتعالى يقول مُحَرِّضًا عباده على العفو : (وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى)^(١) .. وقد فرض الله تبارك وتعالى القصاص في الدماء وفي الجروح ، ومع ذلك حثَّ على العفو ، وبشَّرَ عليه فقال : (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ)^(٢) .. ويقول رسول الله (ﷺ) : (ثَلَاثٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنْ كُنْتُ لِحَالِفًا عَلَيْهِنَّ : لَا يَنْقُصُ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ ، فَتَصَدَّقُوا .. وَلَا يَعْفُو عَبْدٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ يَتَغَيَّبُهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ بِهَا عِزًّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ .. وَلَا يَفْتَحُ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ)^(٣) .. وتقول السيدة « عائشة » (رضي الله عنها) : (مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) مُتَّصِرًا مِنْ مَظْلَمَةٍ ظَلَمَهَا قَطُّ مَا لَمْ تُنْتَهَكْ مَحَارِمُ اللَّهِ ، فَإِذَا انْتَهَكَ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ شَيْءٌ كَانَ أَشَدَّهُمْ فِي ذَلِكَ غَضَبًا .. وَمَا خَيْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ مَأْثِمًا)^(٤) ..

(١) سورة البقرة آية ٢٣٧ .

(٢) سورة المائدة آية ٤٥ .

(٣) رواه أحمد مسند العشرة المبشرين بالجنة .

(٤) رواه الحُمَيْدِيُّ في مسنده .

وَرَوَى أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ عَلَى «عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ» (رَحِمَهُ اللَّهُ) فَجَعَلَ يَشْكُو إِلَيْهِ رَجُلًا ظَلَمَهُ ، وَيَقَعُ فِيهِ ^(١) ، فَقَالَ لَهُ «عُمَرُ» : (إِنَّكَ إِنْ تَلَقَى اللَّهَ وَمَظْلَمَتُكَ كَمَا هِيَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَلْقَاهُ وَقَدْ انْتَقَصَتْهَا) ^(٢) .. وَقَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ : (لَيْسَ الْحَلِيمُ مَنْ ظَلَمَ فَحَلَّمَ حَتَّى إِذَا قَدَرَ انْتَقَمَ ، وَلَكِنَّ الْحَلِيمَ مَنْ ظَلَمَ فَحَلَّمَ حَتَّى إِذَا قَدَرَ عَفَا) ..

وَقَدْ بَشَّرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ، وَأَمَرَ بِالْعَفْوِ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَمِنْهَا : (فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) ^(٣) .. (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) ^(٤) .. (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) ^(٥) .. (فَأَعْفُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ) ^(٦) .. (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ^(٧) ..

وَالْعَفْوُ مِنْ صِفَاتِ الْحَقِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، فَهُوَ يَعْفُو عَنِ الْمُذْنِبِينَ ، وَيَغْفِرُ لِلْمُسْتَغْفِرِينَ ، مَهْمَا عَظُمَتْ ذُنُوبُهُمْ .. وَمِنْ الدَّعَاءِ الْمَأْثُورِ : (اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوفٌ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ ، فَأَعْفُ عَنِّي) ^(٨) .. وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَجَازَ

(١) يَقَعُ فِيهِ : يَسُبُّهُ وَيَعْتَابُهُ وَيَعِيبُ عَلَيْهِ .

(٢) كِتَابُ الصِّمْتِ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا .

(٣) سُورَةُ الْمَائِدَةِ آيَةُ ١٣ .

(٤) سُورَةُ الْأَعْرَافِ آيَةُ ١٩٩ .

(٥) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ آيَةُ ١٣٤ .

(٦) سُورَةُ الْبَقَرَةِ آيَةُ ١٠٩ .

(٧) سُورَةُ النُّورِ آيَةُ ٢٢ .

(٨) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ كِتَابَ الدَّعَوَاتِ .

للمظلوم أن ينتصر لنفسه دون تجاوز ، إلا أنه وعد العَافِينَ بالأجر العظيم ، فقال :
(وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ^١ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) .. ومهما كان
انتصار العبد لِنَفْسِهِ فلن يبلغ مقدار ما وعده الله به من أجر إن عفا ، فَإِنَّ مَا عِنْدَنَا
يُنْفَدُ ، وما عند الله باق ..



(١) سورة الشورى آية ٤٠ .

الصَّفْح

الصَّفْحُ : نسيان الإساءة ، وإزالة أثرها من القلب .. وهو أبلغ من العفو ، وأعلى منه درجة .. والصفح من الأخلاق التي أمر بها الله في مواضع كثيرة من القرآن .. منها : (فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)^(١) .. (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ)^(٢) .. (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)^(٣) .. (فَأَعْفُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ)^(٤) .. (فَأَصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ)^(٥) ..

والعفو والصفح من عزائم الأمور التي لا يقوى عليها إلا من امتلأ قلبه بالإيمان ، كما أن الإحسان لا يقدر عليه إلا الأبرار ، إذ يقول الحق تبارك وتعالى : (وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)^(٦) وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ^(٦) .. والصفح من خلق الأنبياء والمقربين .. وما حدث مع سيدنا « يُوسُفُ الصِّدِّيق » (عليه السلام) خير مثال لذلك ، فقد حسده إخوته على حُبِّ أبيه له ، فكادوا له ، وألقوه في البئر ، وحدث له ما حدث ، وحين آتاه الله المُلْكَ ، وجاءه إخوته - وهم في موقف الضعف - يطلبون الطعام ، كان في إمكانه أن يقتصَّ منهم ، ويعاقبهم ، لكنه عفا ، وصفح ، ولم يعاقب ، أو يعاتب ، بل ودعا لهم بالمغفرة ، كما حكى القرآن

(١) سورة المائدة آية ١٣ . (٢) سورة الشورى آية ٤٠ . (٣) سورة الشورى آية ٤٣ .

(٤) سورة البقرة آية ١٠٩ . (٥) سورة الحجر آية ٨٥ . (٦) سورة فصلت الآيتان ٣٤ ، ٣٥ .

عنه : (قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَلْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)^(١) ..
وكذلك فعل سيدنا « يَعْقُوبُ » (عليه السلام) مع بنيهِ الذين تسبَّبوا في ضياع ابنه منه
سنين عديدة ، وسبَّبوا له الحزن والألم ، وبكى حتى فقد بصره ، كما يحكى القرآن :
(وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسَفُ عَلَى يَوْسُفَ وَأَبِیَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنْ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ)^(٢) ..
وتدور الأيام ويفىء الأبناء ، ويُقرُّون بخطئهم ، ويعتذرون لأبيهم ، فيعفو عنهم ،
ويصفح ، ويدعو الله لهم بالمغفرة والرحمة ، وكان في إمكانه أن يعاقبهم ، أو
يقاطعهم ، أو يدعو عليهم ، جزاء ما اقترفت أيديهم .. ولكنه خُلِقَ الأنبياء : (قَالُوا
يَتَابَانَا أَسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ)^(٣) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)^(٤) .. وكذلك كان نبيُّنا (صلى الله عليه وسلم) حين فُتِحَتْ له مكة ، وخضع أهلها ،
وجاءوه مستسلمين ، وسألهم : (يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ ؟)
قَالُوا : خَيْرًا ، أَخٌ كَرِيمٌ ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ .. قَالَ : (اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ)^(٥) ..
وعفا عنهم ، وصفح على رغم ما فعلوه به ، وبِمَنْ آمَنَ معه ، ولم يُعَاتِبْهم ، أو
يُذَكِّرْهم بما حدث منهم ، أو يُقرِّعْهم ، أو يَمُنَّ عليهم بعفوه .. وهذا هو الصِّفْح
الجميل الذى أمره الله به ، صفح بغير لوم ، أو تقرير ، أو عتاب ..
والصفح كما هو خُلِقَ الأنبياء ، هو كذلك خُلِقَ الصِّدِّيقين ، والأبرار .. وقد
كان لأبي بكر الصِّدِّيق (رضي الله عنه) قريب فقير - يُدْعَى « مِسْطَحُ بْنُ أَنَاثَةَ » - يُنْفِقُ عليه ،

(١) سورة يوسف آية ٩٢ . (٢) سورة يوسف آية ٨٤ . (٣) سورة يوسف الآيتان ٩٧ ، ٩٨ .

(٤) سيرة ابن هشام .

ويرعاه .. فلما حدثت قصة الإفك ، وتكلم المنافقون في حق السيدة « عائشة » (رضى الله عنها) ، وتناقل بعض المسلمين ما يقوله المنافقون ، كان « مسطح بن أثاثة » قد تكلم بما تكلم به المنافقون .. وحين علم « أبو بكر » بذلك غضب ، وأقسم أن يمتنع عن الإنفاق على هذا الذى قابل إحسانه بالإساءة ، فنزل قول الله عز وجل : (وَلَا يَأْتِلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)^(١) .. وكأن العفو عن الناس يجلب عفو الله ، فمن أراد أن يغفر الله له ، فعليه أن يغفر للناس ، ويصفح عنهم .. وحين سمع « أبو بكر الصديق » (رضي الله عنه) الآيات قال : (بلى والله ، إني لأحب أن يغفر الله لي)^(٢) ، وأعاد النفقة إلى مسطح ، ولم يعنفه ، أو يعاتبه ..

ويروى أن رجلاً وقع بأبي بكر^(٣) فأذاه - ورَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) جالسٌ ومعه أصحابه - فصمت عنه أبو بكر ، ثم آذاه الثانية فصمت عنه أبو بكر ، ثم آذاه الثالثة فانتصر منه^(٤) أبو بكر .. فقام رَسُولُ اللَّهِ حين انتصر أبو بكر ، فقال أبو بكر : أوجدت^(٥) عليَّ يا رَسُولَ اللَّهِ ؟ .. فقال رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : (نزل ملكٌ من السماء يكذبه بما قال لك ، فلما انتصرت وقع الشيطان^(٦) ، فلم أكن لأجلس

(١) سورة النور آية ٢٢ .

(٢) رواه البخارى كتاب الشهادات .

(٣) وقع بأبي بكر : شتمه .

(٤) انتصر منه : رد عن نفسه الأذى .

(٥) الوجد : الحزن .

(٦) وقع الشيطان : أى حضر .

إِذْ وَقَعَ الشَّيْطَانُ (١) ..

وقد جاء رجل إلى « علي بن الحسين » (رضي الله عنهما) فقال : إن فلاناً شتمك و قال عنك كذا و كذا ، فقال : اذهب بنا إليه ، فذهب معه و هو يرى أنه ينتصر لنفسه ، فلما وصل إليه قال : (يَا أَخِي إِنْ كَانَ مَا قُلْتَ فِيَّ حَقًّا فَغْفَرَ اللَّهُ لِي ، وَ إِنْ كَانَ مَا قُلْتَ فِيَّ بَاطِلًا فَغْفَرَ اللَّهُ لَكَ) (٢) ..

و حين افْتُخِرَتْ قريش عند « سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ » (رضي الله عنه) قال : (لَكِنِّي خُلِقْتُ مِنْ نُطْفَةٍ مَذْرُوءَةٍ ، ثُمَّ أَعُوذُ بِجِيفَةِ مُنْتَنَةٍ ، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْمِيزَانِ ، فَإِنْ ثَقُلْتُ مَوَازِينِي فَأَنَا كَرِيمٌ ، وَإِنْ خَفَّتْ فَأَنَا لَيْيْمٌ) (٣) ..

و يُرَوَى أَنَّ جَارِيَةً سَكَبَتْ لـ « عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ » (رضي الله عنهما) مَاءً لِيَتَوَضَّأَ ، فَسَقَطَ الْإِبْرِيْقُ مِنْ يَدِهَا عَلَى وَجْهِهِ فَشَجَّهُ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهَا ، فَقَالَتْ الْجَارِيَةُ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ) (٤) فقال : (قَدْ كَظَمْتُ غَيْظِي) .. قالت : (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) (٥) فقال : (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ) .. فقالت : (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (٦) قال : (اذْهَبِي فَأَنْتِ حُرَّةٌ لَوْجَهَ اللَّهِ تَعَالَى) (٧) ..

وجاء رجل إلى رسول الله (ﷺ) فقال : إِنَّ لِي قَرَابَةً : أَصْلُهُمْ ، وَيَقْطَعُونِي .. وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ ، وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ .. وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ ، وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ .. فقال : (لَنْ

(١) رواه أبو داود كتاب الأدب .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا عن أبي الأحوص .

(٣) سورة آل عمران آية ١٣٤ .

(٤) سورة آل عمران آية ١٣٤ .

(٥) كتاب الكبائر للذهبي .

(٦) سورة آل عمران آية ١٣٤ .

(٧) سورة آل عمران آية ١٣٤ .

كُنْتُ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسْفَهُمُ الْمَلَّ ^(١) ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ ^(٢) عَلَيْهِمْ
مَا دُمْتُ عَلَى ذَلِكَ ^(٣) ..

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول : (وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا) ^(٤) ..



^(٢) ظهير : نصير ومعين ودافع للأذى .

^(٤) رواه مسلم كتاب البر والصلة .

^(١) تسفههم المل : تطعمهم الرماد الحار .

^(٣) رواه مسلم كتاب البر والصلة .

النَّصِيحَةُ

« النَّصِيحَةُ » : من النَّصُوح ، و« النَّاصِح من الأشياء » : الخالص من الشوائب ، وكأن النصيحة هي القول الخالص من الغرض الذي يُتَعَيَّ به مصلحة مَنْ تُقَالُ له ، دون النظر إلى أجر ، أو مقابل .. والنصيحة مطلوبة من كل مُسْلِمٍ ، فقد رُوِيَ عن جرير بن عبد الله (رضي الله عنه) أنه قال : (بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالسَّمْعِ ، وَالطَّاعَةِ ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ)^(١) .. وحين قال النبي (ﷺ) : (إِنْ الدِّينَ النَّصِيحَةُ .. إِنْ الدِّينَ النَّصِيحَةُ) قَالُوا : لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : (لِلَّهِ ، وَلِكِتَابِهِ ، وَلِرَسُولِهِ ، وَلِلْأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ)^(٢) .. وقد جاء هذا المعنى في قول الله عزَّ وجلَّ : (لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)^(٣) .. والنصيحة من خلق الأنبياء .. وما منهم أحد إلا وأخلص النصيحة لقومه ، كما حكى القرآن عنهم ، فهذا هو « نوح » يقول : (يَقَوْمَ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)^(٤) .. وها هو « هود » يقول : (أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ)^(٥) .. ويقول « صالح » : (يَقَوْمَ لَقَدْ

^(٣) سورة التوبة آية ٩١ .

^(١) رواه البخاري كتاب البيوع . ^(٢) رواه النسائي كتاب البيعة .

^(٤) سورة الأعراف الآيتان ٦١ ، ٦٢ . ^(٥) سورة الأعراف آية ٦٨ .

أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَ (١) .. وكذلك يقول « شعيب » : (يَنْقُومِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ) (٢) ..

والتناصح من أخلاق المؤمنين التي تُنجيهم يوم القيامة ، إذ يقول الحق تبارك وتعالى : (وَالْعَصْرُ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) (٣) ..

والنصيحة مطلوبة من كل الناس ، ولكل الناس : فالعلماء ينصحون العامة ، والأب ينصح أولاده ، والأخ ينصح أخاه ، وبالتناصح يسعد الجميع .. والنصيحة في أمور الدين هي : الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وقد قال (ﷺ) : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ، ثُمَّ تَدْعُوهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ) (٤) .. والقرآن مليء بالأمثلة في النصيحة في الدين ، منها : (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقُومِ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ۝٢ أَتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ) (٥) .. (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ۝٣ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۝٤ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ) (٦) .. (وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ

(١) سورة الأعراف آية ٧٩ . (٢) سورة الأعراف آية ٩٣ . (٣) سورة العصر الآيات من ١ : ٣ .

(٤) رواه الترمذي كتاب الفتن . (٥) سورة يس الآيتان ٢٠ ، ٢١ . (٦) سورة غافر آية ٢٨ .

يَقَوْمٍ اتَّبَعُونَ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٨﴾ يَقَوْمٍ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوةُ ٱلدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ ٱلْآخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿١﴾ ..

والنصح في أمور الدنيا مطلوب أيضاً فيها هي ابنة « شعيب » تنصح أباهما كما حكى القرآن عنها : (قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْتِيَ ٱسْتَعْجِرُهُ ٱبْنٌ خَيْرٌ مِّن ٱسْتَعْجَرَتْ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ)^(٢) .. وحكى القرآن عن الذى نصح « موسى » (عليه السلام) : (وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمُوسَى إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّصِيحِينَ)^(٣) ..

والخيانة في النصيحة ، أو الغش فيها من قبيل شهادة الزور ، وكتمانها عمن يحتاج إليها من قبيل كتمان الشهادة .. وربنا تبارك وتعالى يقول : (وَلَا تَكْتُمُوا ٱلشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ رِءَءِثٌ قَلْبُهُ ۖ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ)^(٤) ..

والنصيحة يجب أن تكون بالحكمة ، والأدب اللائق بمن تنصحه ، وأن تكون في السر ، فالنصيحة في العلن فضيحة ، وأن تكون خالصة لوجه الله ، وألا يُراد بها إظهار خطأ الغير ، أو رجاحة عقل الناصح ، وحسن تدبيره .. ومن الأمثلة التى يجب الاقتداء بها ، والاعتبار بها نصيحة « إبراهيم » (عليه السلام) لأبيه ، وموعظة « لقمان » لابنه .. وقد كان علماء السلف يطلبون مقابلة الأمراء ، والحكام ، ليقدموا لهم النصح في الله سراً ، كيلا يؤكَّبوا الرعية عليهم ، أو يكشفوا

(١) سورة غافر الآيتان ٣٨ ، ٣٩ . (٢) سورة القصص آية ٢٦ . (٣) سورة القصص آية ٢٠ .

(٤) سورة البقرة آية ٢٨٣ .

عوراتهم ، أو يُثيروا الفتن ، كما كان الأمراء يحيطون أنفسهم بالعلماء في كل مجال : يَسْتَنْصِحُونَهُمْ ، ويطلبون مشورتهم ، وقد علمنا رسول الله (ﷺ) ذلك حين كان يخرج على أصحابه ويقول : (أَشِيرُوا عَلَيَّ)^(١) .. وذلك في أمور الدنيا ، أو الحرب ، وقد قَبِلَ مشورة « سَلْمَانَ الْفَارَسِيِّ » في حفر الخندق في غزوة الأحزاب ، كما قَبِلَ مشورة غيره في غزوة « بَدْر » ، وغير مكان نزول جيشه .. ويحكى لنا القرآن عن مَلِكَةٍ « سَبَأ » ، وكيف استشارت أهل الرأي من قومها : (قَالَتْ يَأْيُهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ)^(٢) .. وقد كان « عمر ابن الخطاب » (رضي الله عنه) يحيط نفسه بأصحاب رسول الله (ﷺ) يستنصحهم في أمور الدولة ، وينزل على رأيهم ، حتى قيل في شأنه : إِنَّهُ كَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^(٣) ..

وينبغي للمسلم أن يقبل نصيحة أخيه المسلم ، ولا تأخذه العِزَّةُ بالإثم كالذى حكى عنه القرآن : (وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْأَمَهُادُ)^(٤) .. فالامتناع عن قبول النصح إثم ، وكذلك الامتناع عن بذل النصح إثم ، فرسول الله (ﷺ) يقول : (مَا خَابَ مَنْ اسْتَخَارَ ، وَلَا نَدِمَ مَنْ اسْتَشَارَ)^(٥) ..



(١) سورة النمل آية ٣٢ .

(١) رواه البخارى كتاب المغازى .

(٢) سورة البقرة آية ٢٠٦ .

(٣) رواه البخارى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة .

(٤) رواه الطبراني في المعجم الصغير .

الْعَدْلُ

« الْعَدْلُ » ضِدُّ الظُّلْمِ .. و« الْعَدْلُ » اسم من أسماء الله تعالى ، فهو الْحَكْمُ الْعَدْلُ .. و« الْعَدْلُ » : وَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي مَوْضِعِهِ .. كما أَنَّ الظُّلْمَ وَضَعَ الشَّيْءَ فِي غير مَوْضِعِهِ .. وقد أَمَرَ الله تبارك وتعالى بِالْعَدْلِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ ، وَحَالَ الرِّضَا أَوْ الْغَضَبِ ، وَسَوَاءٌ أَكَانَ الطَّرْفُ الْآخِرَ قَرِيبًا أَمْ بَعِيدًا .. غَنِيًّا أَمْ فَقِيرًا ، فَقَالَ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ : (يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ۚ وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)^(١) ..

وَلَا يَصِحُّ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَقَابِلَ الظُّلْمَ بِظُلْمٍ .. كما لَا يَصِحُّ أَنْ تَدْفِعَ الْعَدَاوَةَ إِلَى الْمَيْلِ عَنِ الْحَقِّ .. بغض النظر عن اختلاف الجنس ، أو اللون ، أو الدين ، فالْعَدْلُ هُوَ الْعَدْلُ ، وَالظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .. يَقُولُ الْحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : (يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)^(٢) .. وَيَبَيِّنُ الْحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّ الظُّلْمَ يَعُودُ عَلَى صَاحِبِهِ بِالْوَبَالِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَيَقُولُ : (يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ۖ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)^(٣) ..

^(١) سورة النساء آية ١٣٥ .

^(٢) سورة المائدة آية ٨ .

^(٣) سورة يونس آية ٢٣ .

وقد قصَّ الله تبارك وتعالى علينا قصة « داود » (عليه السلام) مع الخصمين اللذين احتكما إليه ، فقال : (وَهَلْ أَتَاكَ نَبُؤُا الْخَصَمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ^ط قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ ^ط وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ^ق وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ) (١) .. ويبدو - والله أعلم - أن « داود » اتَّهم صاحب النعاج التسعة والتسعين بظلم أخيه قبل أن يسمع وجهة نظره .. فالآية لم تذكر إلا كلام صاحب النعجة الواحدة فقط ، وردَّ « داود » عليه .. وربما كان لصاحب النعاج حجة ، أو منطق ، أو رأى ، ولكنه لم يأخذ الفرصة للدفاع عن نفسه .. ولما كان « داود » (عليه السلام) نبياً ، فقد تنبَّه تَوَّأ لِحَطِّئِهِ ، فاستغفر ، وأناب إلى الله .. لذلك كان التعقيب الإلهي على الموقف : (يَنَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) (٢) ..

ويبدو - والله أعلم - أن ما حدث من « داود » كان لشفقته على الفقير ، صاحب النعجة الواحدة ، وتوهمه ظلم الغنى له ، وطمعه في نَعَجَتِهِ ، وذلك هو

(١) سورة ص الآيات من ٢١ : ٢٤ .

(٢) سورة ص آية ٢٦ .

الهوى الذى نَهَاهُ الله عن اتّباعه فى الآية سالفة الذكر .. لأن الأنبياء مُبرِّعون من اتّباع الهوى الذى هو ما تَهَوَّاهُ النَّفْسُ ، وتشتهيه ، أما الهوى المذكور فهو ميل نفسه (عليه السلام) نحو الفقير صاحب النعمة الواحدة ، والعطف عليه ، والإشفاق على حاله ، لذلك كان التوجيه الإلهى : (إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا)^(١) .. أى لا تميلوا إلى الفقير عطفاً وشفقة عليه ، ولا تميلوا إلى الغنى طمعاً فيه ، أو رهبة منه ، فالله تبارك وتعالى يتولى الجميع .. وعليكم بالعدل المطلق دون النظر إلى حال الخصم من الضعف أو القوة أو الفقر أو الغنى ..

والحاكم العادل ضمن السبعة الذين يظلمهم الله بظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ، وعنه يقول رسول الله (ﷺ) : (ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ : الْإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَالصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ)^(٢) .. كما أن الغدر فى حق الحاكم أعظم ، وأفحش منه فى غيره ، فقد قال رسول الله (ﷺ) : (لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لَهُ بِقَدْرِ غَدْرِهِ ، أَلَا وَلَا غَادِرَ أَعْظَمُ غَدْرًا مِنْ أَمِيرٍ عَامَّةٍ)^(٣) ..

والحاكم هو ظلُّ الله فى أرضه ، يأوى إليه المظلوم ، فينتصر له ، فalcوى عنده ضعيف حتى يأخذ الحق منه ، والضعيف عنده قوى حتى يأخذ الحق له ..

وقد فضّل بعض العلماء الحاكم العادل ، وإن كان فاسقاً على الحاكم الظالم وإن كان صالحاً .. وقالوا : عدلُ الحاكم للرعية ، وفسقه على نفسه .. وظلم الحاكم على الرعية ، وصلاحه لنفسه ..

(١) سورة النساء آية ١٣٥ . (٢) رواه الترمذى كتاب الدعوات . (٣) رواه مسلم كتاب الجهاد والسير .

ودوامُ الْمَمَالِكِ بِالْعَدْلِ ، فالْعَدْلُ أساسُ الْمُلْكِ ، وخرابُ الْمَمَالِكِ بِالظلمِ ..
والله تبارك وتعالى يقول : (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا^١) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)^(١) ..

وقد أجاز ربُّنا تبارك وتعالى للمظلوم أن ينتصف لنفسه دون مجاوزة الحدِّ ،
وهدد الظالم بالعذاب الأليم ، فقال : (وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ
مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ^٢
أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)^(٢) ..

وقد أهلك الله أمماً كثيرة بسبب التَّظَالُمِ بينهم : فقوم « شُعَيْب » مثلاً كانوا
يَخْسُونَ الناسَ أشياءهم ، وَنَصَحَهُمْ نَبِيُّهُمْ بَأْنَ لَا يُتَقَصُّوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ، فَأَبَوْا إِلَّا
ظَلَمَ بعضهم بعضاً ، فأهلكهم الله .. والنبي (ﷺ) يحذر الأمة من عدم إقامة العدل
بينهم ، فيقول : (إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلُكُمْ : أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ
تَرَكَوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ)^(٣) ..

وكما أن العدل بين الناس مطلوب ، فكذلك العدل مع النفس مطلوب ..
فظلم النَّفْسَ مهلكة .. وربُّنا تبارك وتعالى يقول : (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ^٤ وَمَنْ
أَسَاءَ فَعَلِيَهَا^٥ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ)^(٤) .. ويقول : (وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ
يَظْلِمُونَ)^(٥) .. ويقول : (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)^(٦) .. فظلم

(١) سورة الشورى الآيتان ٤١ ، ٤٢ .

(٢) سورة فصلت آية ٤٦ .

(٣) سورة النحل آية ١١٨ .

(٤) سورة النمل آية ٥٢ .

(٥) رواه البخارى كتاب أحاديث الأنبياء .

(٦) سورة آل عمران آية ١١٧ .

النفس : تعريضها للعذاب ، وحرمانها من نعيم الجنة ، وعدم تزكيتها وتطهيرها ،
وربنا تبارك وتعالى يقول : (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿١﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)^(١) .. فمن
طهر نفسه من الذنوب ، وسلمها من العيوب ، وأوردها موارد السلامة ، وجنبها
موارد التهلكة ، كان عادلاً معها .. ومن تركها تنهل من المعاصي ، وتنال ما
تشتهيه ، دون أن يكبح جماحها ، كان ظالماً لنفسه .. فرسول الله (ﷺ) يقول :
(النَّاسُ غَادِيَانِ ^(٢) : فَمُبْتَاعٌ ^(٣) نَفْسُهُ ، فَمُعْتَقٌ .. وَبَائِعٌ نَفْسَهُ ، فَمُوبِقٌ ^(٤))^(٥) ..



^(١) سورة الشمس الآيتان ٩ ، ١٠ . ^(٢) الغلوة : الخروج أول النهار . ^(٣) مبتاع : مشترى .

^(٤) موبقها : أى مهلكها . ^(٥) رواه أحمد باقى مسند المكثرين .

الصدق

الصدق ضد الكذب .. وهو القوة التي تبعث الإنسان على الاستمرار فيما هو عليه ، وتحول بينه وبين النكوص والتردد .. وهو أنواع : فهناك الصدق في الاعتقاد ، والصدق في النية ، والصدق في القول ، والصدق في العمل .. وإليك البيان :

١- الصدق في الاعتقاد :

وهو أن تعلم أن الله موجود ، وأنه واحد لا شريك له ، قادر على كل شيء ، لا يقع في ملكه إلا ما يريد ، وهو الفاعل لما يريد .. ولا يخالط عقيدتك هذه شك ، ولا شبهة في جميع أوقاتك وأحوالك .. وإن أصابتك سرّاء شكرت ، وإن أصابتك ضرّاء صبرت .. وعلمت أن ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك ، وأن الله ليس بظلام للعبيد ، وأنه يختبر عباده بما يشاء ، فهو سبحانه القائل : (أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ^ط فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) ^(١) .. وكذلك يقول : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) ^(٢) .. ويصف ربنا تبارك وتعالى غير الصادقين في اعتقادهم بقوله : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ^ط وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) ^(٣) .. وكذلك

(١) سورة العنكبوت الآيتان ٢ ، ٣ . (٢) سورة آل عمران آية ١٤٢ . (٣) سورة الحج آية ١١ .

بقوله : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ^١ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ) ^(١) .. وعلامة صدق الاعتقاد أن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما ، لقول النبي (ﷺ) : (ثَلَاثٌ مَّنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : مَن كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ) ^(٢) .. وربنا تبارك وتعالى يصف صدق الاعتقاد بقوله : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ^٣ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) ^(٣) ..

٢- الصِّدْقُ فِي النِّيَّةِ :

وهو أن تكون إرادة الخير عزيمة صادقة في القلب لا تشوبها أى شائبة من حظوظ النفس .. ولا يعتورها ضعف ، أو ميل ، أو تردد ، وقد ورد عن النبي (ﷺ) أنه قال : (يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصُحُفٍ مَّخْتَمَةٍ ، فَتُنْصَبُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، فَيَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَلْقُوا هَذِهِ ، وَاقْبَلُوا هَذِهِ .. فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ : وَعَزَّتْكَ ، مَا رَأَيْنَا إِلَّا خَيْرًا !! .. فَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ : إِنَّ هَذَا كَانَ لِغَيْرِ وَجْهِ ، وَإِنِّي لَا أَقْبَلُ الْيَوْمَ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا ابْتَغَيْ بِهِ وَجْهِ) ^(٤) .. وكذلك يُروى عنه

^(١) سورة العنكبوت آية ١٠ . ^(٢) رواه مسلم كتاب الإيمان . ^(٣) سورة الحجرات آية ١٥ .

^(٤) رواه الطبراني في المعجم الأوسط .

(ﷺ) أنه قال : (مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ : فَفَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ .. وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ : جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ ^(١)) ^(٢) .. وحين قال رسول الله (ﷺ) : (يَغْزُوا جَيْشُ الْكَعْبَةِ ، فَإِذَا كَانُوا بَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ ، يُخَسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ) ، قَالَتِ السَّيِّدَةُ « عَائِشَةُ » (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) : كَيْفَ يُخَسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَأُهُمْ ، وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ ؟! قَالَ : (يُخَسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ ، ثُمَّ يُعْتُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ) ^(٣) .. ويقول (ﷺ) : (إِذَا التَّقَى الْمُسْلِمَانِ بَسِيفَتَهُمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ) .. قيل : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا الْقَاتِلُ ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ ؟! .. قَالَ : (إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ) ^(٤) ..

والنية هي أساس الأعمال ، وعليها يُحَاسَبُ الْإِنْسَانُ ، لقول النبي (ﷺ) : (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى) ^(٥) .. وكلما كانت النية صادقة كان العمل مُبَارَكًا ، مُوَفَّقًا ، مُثَابًا عليه ، وقد يُعَبِّرُ عَنْ النِّيَّةِ بِالْإِرَادَةِ أَوْ بِالْقَصْدِ .. وهى ألفاظ تدل على معنى واحد ، وهو حالة وصفة للقلب يتقدمها علم ، وثمرتها عمل : فالعلم بأن الشيء موافق للغرض الذى هو خير عاجل ، أو أجل ينشئ الرغبة فى تحصيله ، وتتحقق الإرادة فى القلب ، ويستقر العزم فيه على

(١) راغمة : مُتَقَادَةٌ مُكْرَهَةٌ ، ذَلِيلَةٌ صَاغِرَةٌ .

(٢) رواه ابن ماجه كتاب الزهد .

(٣) رواه البخارى كتاب البيوع .. وذكر مسلم فى روايته : يُخَسَفُ بِأَوَّلِهِمْ ، وَيُنَادِي أَوَّلُهُمْ آخِرَهُمْ ثُمَّ يُخَسَفُ بِهِمْ ، فَلَا يَبْقَى إِلَّا الشَّرِيدُ الَّذِي يُخْبِرُ عَنْهُمْ ..

(٤) رواه البخارى كتاب الإيمان . (٥) رواه البخارى كتاب بدء الوحي .

تحصيل المطلوب ، فيأمر الأعضاء والجوارح بالتحرك لتحصيل المطلوب ، ويحدث العمل الذى هو ثمرة النية ..

وتتضح أهمية الصدق فى النية وخطورته من الحديث الشهير الذى يُشير إلى الثلاثة الذين وجبت لهم النار مع أن أحدهم قُتل شهيداً ، والثانى كان مُنفقاً مُتصدّقاً ، والثالث كان عَالِماً قَارِئاً ، لأن النية فى قلوبهم لم تكن صادقة لله ، بل كانت من أجل ثناء الناس عليهم ، ومدحهم لهم ، ف قيل لأحدهم : لقد قاتلت لُقَيْلَ : شجاع ، وقد قيل .. وقيل للثانى : لقد أنفقت لُقَيْلَ : جواد ، وقد قيل .. وقيل للثالث : لقد تعلّمت ، وقرأت لُقَيْلَ : عالم ، وقد قيل .. فلم يجدوا ثواباً لعملهم ، بل وجدوا عقوبة الرّياء ..

٣- الصّدقُ فى القول :

وذلك يكون فى الإخبار ، أو فيما يتضمن الإخبار ، والخبر قد يتعلق بالماضى ، أو بالمستقبل ، ويدخل فيه الوعد .. فمن حفظ لسانه عن الإخبار بالأشياء على خلاف ما هى عليه ، فهو صادق .. والنبي (ﷺ) يقول : (عَلَيْكُمْ بِالصّدقِ ، فَإِنَّ الصّدقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصّدقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا .. وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا)^(١) .. والصدق من أخلاق المؤمنين ،

(١) رواه مسلم كتاب البر والصلة .

وهو من صفات الله عز وجل : (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا)^(١) .. (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا)^(٢) ..

والصدق من أخلاق الأنبياء والمرسلين ، فما من نبيٍّ بُعثَ إلا وكان مُشْتَهَرًا بالصدق بين قومه ، وما كُذِّبَ الأنبياء لشُبُهَة ، أو خلل في كلامهم ، ولكن كُذِّبوا حسدًا ، وبَغْيًا .. يقول الحق تبارك وتعالى : (فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ تَجَحَّدُونَ)^(٣) .. وحين سأل هرقلُ أبا سُفْيَانَ عن النبي (ﷺ) قائلاً : هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ ؟ .. قال أبو سُفْيَانَ : لا .. فقال هرقلُ : لَمْ يَكُنْ لِيَدْعِ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ ، وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ^(٤) ..

ومن الغريب أن يمتنع « إبراهيم » (عليه السلام) عن الشفاعة للناس يوم القيامة قائلاً : (إِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ)^(٥) !! .. سبحان الله .. ثلاث كذبات فقط في حياته !! وقد كانت من المعاريض ، ولم تكن كذبًا صريحًا ، وكانت لغرض صحيح شريف ، فالأولى : هي قوله لقومه كما يحكى القرآن عنه : (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ)^(٦) .. وذلك حين حطَّم أصنامهم جميعها ، وترك أكبرهم ليلزمهم الحُجَّة .. والثانية : قوله : (إِنِّي سَقِيمٌ)^(٧) .. مُدَّعِيًا

(١) سورة النساء آية ١٢٢ .

(٢) سورة النساء آية ٨٧ .

(٣) سورة الأنعام آية ٣٣ .

(٤) رواه البخارى كتاب الجهاد والسير .

(٥) رواه البخارى كتاب تفسير القرآن .

(٦) سورة الأنبياء آية ٦٣ .

(٧) سورة الصافات آية ٨٩ .

المرض ، حتى لا يخرج معهم في يوم عيدهم ، ولتتاح له الفرصة لتحطيم الأصنام ..
أما الثالثة : فقله لامرأته : (يَا سَارَةَ ، لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي
وَعَاكِرٌ ، وَإِنَّ هَذَا سَالِّي ، فَأَخْبِرْتُهُ أَنَّكَ أُخْتِي ، فَلَا تُكَذِّبِينِي) ^(١) .. وذلك حتى
يتقى شرَّ الجبار الذي لو علمَ أن « إبراهيم » (عليه السلام) زوجها لقتله ..

وقد رَوَى أن رسول الله (ﷺ) سئل : يا نبي الله ، هل يزني المؤمن ؟! قال :
قد يكون ذلك .. قيل : يا رسول الله ، هل يسرق المؤمن ؟! قال : قد يكون
ذلك .. قيل : يا نبي الله ، هل يكذب المؤمن ؟! قال : لا .. ثم أتبعها (ﷺ) بقول
الله تعالى : (إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْكَاذِبُونَ) ^(٢) .. ^(٣)

٤- الصِّدْقُ فِي الْفِعْلِ :

وهو أن تكون أفعال المرء الظاهرة موافقة لما في باطنه ، وعلايته متفقة مع
سريره ، وقد أثنى الله تبارك وتعالى على مثل هؤلاء بقوله : (مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ
صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا
تَبْدِيلًا) ^(٤) .. وفي المقابل يحكى القرآن عن الذي لم يصدق في فعله : (وَمِنْهُمْ
مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ ءَاتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ) ^(٥) فَلَمَّا
ءَاتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ خَلَوْا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ^(٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ

^(١) سورة النحل آية ١٠٥ .

^(٤) سورة الأحزاب آية ٢٣ .

^(١) رواه البخارى كتاب أحاديث الأنبياء .

^(٣) رواه الخرائطى كتاب مساوى الأخلاق .

إِلَى يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ (١) ..

وهناك مثال واضح للصدق في الفعل المتفق مع الصدق في النية .. فقد بعث رسول الله (ﷺ) عاصم بن ثابت (رضي الله عنه) في سرية من تسعة أفراد ، فوقعوا في كمين نصبه لهم الكفار ، وحاصروهم ، وأمروهم بالاستسلام ، ولهم الأمان .. فاستسلم بعض من كان معه ، أما هو فأبى أن ينزل في ذمة كافر - وقد كان عاصم قد أعطى الله عهداً أن لا يمس مشرك ، ولا يمس مشركاً أبداً - وصمم على موقفه ، وقاتل بالسهم حتى قُتل ، فلما قُتل عاصم أراد المشركون أخذ رأس عاصم لامرأة من مكة نذرت لئن قُدرت على عاصم لتشربن في رأسه الخمر انتقاماً لمقتل ولديها في غزوة بدر ، فمنعه الدبر (٢) ، فقالوا : دعوه يُمسي فتذهب عنه الدبر ونأخذه في الصباح ، فأرسل الله سيلاً في الوادي احتمل عاصماً وذهب به ، ولم يُعرف له مكان .. فكان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول حين بلغه أن الدبر منعه : (يَحْفَظُ اللَّهُ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ ، كَانَ عَاصِمٌ نَذَرَ أَنْ لَا يَمَسَّهُ مُشْرِكٌ ، وَلَا يَمَسَّ مُشْرِكاً أَبَداً فِي حَيَاتِهِ ، فَمَنَعَهُ اللَّهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، كَمَا امْتَنَعَ مِنْهُ فِي حَيَاتِهِ) (٣) ..

ويأمر ربنا تبارك وتعالى عباده بالصدق ، فيقول : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾) (٤) .. ويذكر تبارك وتعالى الصدق في مجال الشاء على الأنبياء والصالحين بقوله : (وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۖ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ

(١) سورة التوبة الآيات من ٧٥ : ٧٧ . (٢) الدبر : ذكور النحل . (٣) سيرة ابن هشام .

(٤) سورة التوبة آية ١١٩ .

وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ ^(١) .. وبقوله : (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ هُمْ مَّا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾) ^(٢) ..
والصدق دليل على تَحَرُّرِ العبد من العبودية لغير الله .. فالكذب في القول يكون إما بسبب الخوف مِمَّنْ يُكْذِبُ عَلَيْهِ ، أو بسبب الطمع فيما عنده .. والعبد المؤمن لا يخاف إلا من الله ، ولا يطمع إلا فيما عند الله ، والصدق دليل على الإيمان الكامل .. فمن عرف الله كان صادقاً في اعتقاده .. صادقاً في نيَّته .. صادقاً في أقواله .. صادقاً في أفعاله .. لا يخشى إلا الله ، ولا يرجو سواه ، ولا يبالي بِمَنْ عداه .. فريضاء الله هو الغاية .. وَحُبُّ اللَّهِ هو المقصد .. ولقاء الله ، والنظر إلى وجهه الكريم هو الأمل المنشود ..



^(٢) سورة الزمر الآيات من ٣٣ : ٣٥ .

^(١) سورة مريم آية ٥٤ .

الإخلاص

« الإخلاص » من « الخُلوص » .. فكل شىء صفا عما يشوبه ، وخَلَص منه فهو خَالِصٌ ، ومنه قول الله عز وجل : (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ) (١) .. فهو خالص لا أثر فيه للدم ، أو الفَرْث من : لون ، ورائحة ، وكثافة ، ولزوجة .. وإنما هو أبيض نقي ، ذو كثافة خاصة ، وصفات خاصة ، تخالف ما يحيط به .. ويُسمَّى الفعل المُصَفَّى الخَالِصُ من كل الشوائب : إِخْلَاصًا .. وقد جرت العادة على وصف الأفعال المجردة من كل قصد - سوى قصد التقرب إلى الله تبارك تعالى - بصفة الإخلاص ، والله تعالى يقول : (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ) (٢) .. (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) (٣) .. (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ) (٤) .. (قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي) (٥) ..

وقد اختلفت أقوال الشيوخ في تعريف الإخلاص ، فمنهم من يقول : الإخلاص صدقُ النية مع الله .. ومنهم من يقول : الإخلاصُ نسيانُ رؤية الخلقِ بدوام النظر إلى الحق .. ومنهم من يُعرِّفه بقوله : الإخلاصُ ما استترَ عن الخلاقِ ، وصفاً عن العلائق .. ومنهم من قال : الإخلاصُ تجريدُ قصدِ التقربِ إلى الله عن جميع الشوائب .. والخُلَاصَةُ أن الإخلاص يعني : أن يكون العمل خالصاً لوجه الله عز

(٣) سورة الزمر آية ٣ .

(٢) سورة البينة آية ٥ .

(١) سورة النحل آية ٦٦ .

(٥) سورة الزمر آية ١٤ .

(٤) سورة الزمر آية ١١ .

وجل ، لا تشوبه شائبة من رياء ، أو سُمعة ، أو ابتغاء مدح وثناء ، ودون انتظار أجر ، أو منفعة دُنْيَوِيَّة من أحد ، كما جاء في قوله عز وجل : (إِنَّمَا نَطْعُكُمْ لِرِجَالِهِ اللَّهُ لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا)^(١) .. والإخلاص في العمل ثمرة الإخلاص في العقيدة .. ومن أمثلة المُخْلِصِينَ في العمل السَّبْعَةُ الَّذِينَ ذَكَرُوا في قول رسول الله (ﷺ) : (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : إِمَامٌ عَادِلٌ .. وَشَابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ .. وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسْجِدِ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ ، حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ .. وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ ، اجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَتَفَرَّقَا .. وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا ففَاضَتْ عَيْنَاهُ .. وَرَجُلٌ دَعَتْهُ ذَاتُ حَسَبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ .. وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ)^(٢) ..

كل هذه الأعمال هي أعمال خالصة لوجه الله الكريم ، فسينال أصحابها ما لا يناله إلا ذو حظٍّ عظيم .. فَمَنْ أَظَلَّهُ اللَّهُ في ذلك اليوم بظِّله فلا شك أنه ذو حظٍّ عظيم ، فرسول الله (ﷺ) يَقُولُ : (تُدْنِي الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ ، فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ : فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ^(٣) ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ^(٤) الْعَرَقُ إِنْجَامًا) .. وَأَشَارَ (ﷺ) بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ^(٥) ..^(٦)

^(٢) رواه مالك في الموطأ .

^(١) سورة الإنسان آية ٩ .

^(٣) الحقو : موضع عقد الإزار في وسط الجسم . ^(٤) يلجمه : يصل إلى فمه فيصير له بمنزلة اللجام للداة .

^(٥) فيه : فمه . ^(٦) رواه مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها .

والإخلاص نوعان أو قسمان ينال الناس منهما بحسب درجاتهم من القُرب من الله ، والمنزلة عنده ، فمنهم المخلصون ، ومنهم المخلصون .. فأما المخلص : فهو الذى اكتسب إخلاصه بتوفيق الله له ، ومواظبته على تبرة أعماله من كل الشوائب ، وجعلها خالصة لوجه الله عز وجل .. وأما المخلص : فهو الذى نال هذا المقام باجتماع الله ، واصطفائه له ، فهو منحة وهبة من الله اختص بها بعض عباده كما جاء فى قوله : (وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾) (١) .. (وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾) (٢) .. وهؤلاء المخلصون لا سلطان للشيطان عليهم مطلقاً ، كما جاء فى قول الحق تبارك وتعالى : (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ) (٣) .. (قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٣﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ) (٤) ..

هذا .. ويرتبط الإخلاص بالصدق ارتباطاً وثيقاً ، إذ من شروط صحة الإخلاص : الصدق فيه .. ومن شروط صحة الصدق : وجود الإخلاص فيه ، ويتضح ذلك من قول رسول الله (ﷺ) : (الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ) (٥) أى لا بد أن يكون مخلصاً فى إساءة النصيح لمن يستشيره ، صادقاً فى قوله ونصحه ، غير منتظر لشكر أو جزاء ، إلا من

(١) سورة ص الآيات من ٤٥ : ٤٧ . (٢) سورة مريم آية ٥١ . (٣) سورة ص الآيات ٨٢ ، ٨٣ .

(٤) سورة الحجر الآيات ٣٩ ، ٤٠ . (٥) رواه الترمذى كتاب الأدب .

عَالَمِ الْخَفِيَّاتِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .. وَإِنْ وَافَقَتْ نَصِيحَتَهُ خَيْرًا لِمَنْ عَمِلَ بِهَا فَلَا يَمُنُّ عَلَيْهِ بِذَلِكَ ، وَلَا يُعْجَبُ بِرَأْيِهِ ، بَلْ يَنْسِبُ الْفَضْلَ فِي إلهَامِهِ بِالسَّدَادِ فِي النَّصْحِ إِلَى الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ ..

هذا .. وباب التوبة لغير المخلصين مفتوح على مصراعيه ، لقول الله عز وجل :
(إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾)^(١) ..

والإخلاص لازم في العقيدة ، لازم في النية ، لازم في الأقوال ، لازم في الأفعال .. حكمه حكم الصدق .. فلا صدق بغير إخلاص فيه ، ولا إخلاص بغير صدق فيه .. ويتضح ذلك في كثير من الأحاديث النبوية والآيات القرآنية .. ففي شأن الإخلاص في العقيدة قال النبي (ﷺ) حين سُئِلَ عَنْ أَسْعَدِ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : (أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ - أَوْ نَفْسِهِ -)^(٢) .. وتتضح ثمرة الإخلاص في الأقوال في قول الله عز وجل : (وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿١﴾)^(٣) .. وكأن الإخلاص في الأقوال تأمين لمستقبل الأولاد لو مات عائلهم .. بل إنه كذلك سبب في صلاح الأحوال ، وغفران الذنوب كما وعد الحق تبارك وتعالى بقوله : (يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا

^(١) سورة النساء الآيتان ١٤٥ ، ١٤٦ . ^(٢) رواه البخارى كتاب العلم . ^(٣) سورة النساء آية ٩ .

﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴿١﴾ ..

وبعض السادة العلماء والشيوخ يرون أن الإخلاص الكامل يكون بمراقبة
الأنفاس ، فهم مع كل شهيق وزفير ، يشعرون بإقامة القيوم سبحانه وتعالى وإبقائه
لهم .. غير مؤملين بالحياة الدنيا ، ينتظرون الموت مع كل حركة وسكنة ..
فمنهم من إذا أصبح لم ينتظر المساء ، وإذا أمسى لم ينتظر الصباح .. ومنهم من
إذا أخذ نفساً لم ينتظر أن يخرج ، معتبرين ذلك هو الإخلاص الأعلى مرتبة ، إذ
المفروض أن يكون العبد خالصاً لسيده ومولاه ، في كل وقت وحين ، مستدلين
على رأيهم بقول الحق تبارك وتعالى لِسَيِّدِ الْمُخْلِصِينَ وَالْمُخْلِصِينَ : (قُلْ إِنَّ
صَلَائِي وَنُفْسِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ) وبذلك أمرت
وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ..



﴿٢﴾ سورة الأنعام الآيتان ١٦٢ ، ١٦٣ .

﴿١﴾ سورة الأحزاب الآيتان ٧٠ ، ٧١ .

الصَّبْر

« الصَّبْرُ » : هو حَبْسُ النَّفْسِ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ الْعَقْلُ وَالشَّرْعُ ، وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : رُبَّمَا خُولِفَ بَيْنَ أَسْمَائِهِ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ مَوَاقِعِهِ : فَإِنْ كَانَ اسْتِسْلَامًا عِنْدَ الْمَصِيبَةِ سُمِّيَ : صَبْرًا لَا غَيْرَ ، وَضِدُّهُ الْجَزَعُ .. وَإِنْ كَانَ فِي الْقِتَالِ سُمِّيَ : شَجَاعَةً ، وَضِدُّهُ الْجُبْنُ .. وَإِنْ كَانَ عَلَى مَا يَضَاقِقُ مِنْ كَلَامِ الْغَيْرِ سُمِّيَ : رَحَابَةً صَدْرٍ ، وَضِدُّهُ الضَّجَرُ .. وَإِنْ كَانَ فِي إِمْسَاكِ الْكَلَامِ سُمِّيَ : كَتَمَانًا ، وَضِدُّهُ الْهَذَرُ ..

وَكُلُّ ذَلِكَ يُسَمَّى صَبْرًا كَمَا يُسَمَّى حَبْسُ النَّفْسِ عَلَى الطَّاعَةِ ، وَالْعِبَادَةِ ، وَمُجَاهَدَةُ الْهَوَى ، وَالْبَعْدُ عَنِ الْمَعَاصِي - صَبْرًا كَذَلِكَ .. وَيَطَالِبُنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الصَّبْرِ فِي قَوْلِهِ : (يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (١) ..

وَالصَّبْرُ خُلُقٌ مِنْ أَخْلَاقِ الْإِسْلَامِ اكْتَمَلَ فِي سَيِّدِ الْأَنْامِ (ﷺ) الَّذِي وَصَفَهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِقَوْلِهِ : (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (٢) .. وَهُوَ أَيْضًا مِنْ خُلُقِ الْمُرْسَلِينَ إِذْ يَقُولُ الْحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِحَبِيبِهِ الْمُصْطَفَى (ﷺ) : (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) (٣) ، مِمَّا يَشِيرُ إِلَى أَنَّ صَبْرَهُمْ هُوَ أَعْلَى مَقَامٍ فِي الصَّبْرِ ..

وَالْإِنْسَانُ لَا يُمْكِنُ لَهُ أَنْ يَتَحَلَّى بِخُلُقِ الصَّبْرِ إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ لَهُ ، وَتَقْوِيَتِهِ عَلَيْهِ ، إِذْ يَقُولُ : (وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ) (٤) .. وَمَعَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْهَادِي لِلصَّبْرِ ، وَالْمَوْفِقُ

(٣) سورة الأحقاف آية ٣٥ .

(٢) سورة القلم آية ٤ .

(١) سورة آل عمران آية ٢٠٠ .

(٤) سورة النحل آية ١٢٧ .

له ، إلا أنه - مع ذلك - بَشَّرَ الصَّابِرِينَ بقوله : (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)^(١) .. والصبر من أَلَزَمَ الأمور في كل العبادات : فمثلاً سُمِّيَ شهر رمضان بشهر الصبر حيث يصبر الإنسان فيه على الجوع ، والعطش ، والإمساك عن الشهوات المباحة في غير وقت الصوم .. ولذلك كان جزاء الصوم وفيراً وعظيماً كما جاء في الحديث القدسي : (كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ ، فَإِنَّهُ لِي ، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ)^(٢) ..

والصبر لا يكون صحيحاً ما لم يكن مُتَلَبِّساً بالإخلاص .. فالصائم في خلوته لا يراه إلا الله .. فهو عبادة لا يطلع عليها إلا الله ، ومن أجل ذلك كان جزاء الصوم غير معلوم لأحد سوى الله ..

أقسام الصَّبَر : الصبر أربعة أقسام :

١- الصَّبْرُ عَلَى الطَّاعَةِ :

وذلك بالامتنثال لأوامر الله عز وجل ، مهما تكلف العبد فيها من مشقة أو جهد : كالصبر على الصيام ، والقيام ، وأداء الفرائض المختلفة ..

٢- الصَّبْرُ عَنِ الْمَعَاصِي :

وذلك باجتناّب كل ما نهى الله عنه ، وكل ما يُعَرِّضُ الإنسان لغضب الله وسخطه ، كما جاء في الآية الجامعة : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي

^(٢) رواه البخارى كتاب الصوم .

^(١) سورة البقرة الآيات ١٥٥ : ١٥٧ .

الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١) ..
وصدق رسول الله (ﷺ) إذ يقول : (الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ،
وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ) (٢) ..

٣- الصَّبْرُ عَلَى النِّعْمَةِ :

وذلك بمعرفة مصدرها ، ألا وهو فضل الله عز وجل ، والعمل فيها بطاعة الله
حتى لا تُطغى صاحبها أو تُنسيه .. وربنا تبارك وتعالى يقول : (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ
لَيَظُنِّي ۖ أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى) (٣) .. وقد قال رسول الله (ﷺ) : (مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ
قَطُّ إِلَّا بُعِثَ بِجَنَّتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ ، يُسْمَعَانِ أَهْلَ الْأَرْضِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ : يَا أَيُّهَا
النَّاسُ هَلُمُّوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ ، فَإِنَّ مَا قَلَّ وَكَفَىٰ خَيْرٌ مِّمَّا كَثُرَ وَالْهَى) (٤) .. ومن دعائه
(ﷻ) : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ ، وَعَذَابِ النَّارِ ، وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ ، وَعَذَابِ
الْقَبْرِ ، وَشَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى ، وَشَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ) (٥) ..

٤- الصَّبْرُ عَلَى الْبَلَاءِ :

وذلك بالرضا بالقضاء والقدر ، وعدم الشكوى أو الجزع .. واستعواض الله فيما
ضاع ، أو فقد ، أو نقص من مال ، وولد ، وصحة ، وما إلى ذلك .. والله تبارك
وتعالى يقول : (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ
وَالثَّمَرَاتِ ۖ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) (٦) .. ويقول : (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ

(١) سورة النحل آية ٩٠ . (٢) رواه ابن حبان في صحيحه . (٣) سورة العلق الآيتان ٦ ، ٧ .

(٤) رواه أحمد مسند الأنصار . (٥) رواه البخاري كتاب الدعوات . (٦) سورة البقرة آية ١٥٥ .

مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبَلُوا أَخْبَارَكُمْ^(١) ..

هذا .. وحين سئل رسول الله (ﷺ) : أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً ؟ قَالَ : (الْأَنْبِيَاءُ ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَلِأَمْثَلٍ ، يُتْلَى الْعَبْدُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ^(٢) ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَمَا يِيرَحُ^(٣) الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ)^(٤) .. وهناك أنواع من الابتلاء لا جزاء لمن يصبر عليها إلا الجنة .. فالنبي (ﷺ) يقول : (إِنَّ اللَّهَ قَالَ : إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتِهِ^(٥) ، فَصَبَرَ ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ)^(٦) .. ويقول : (إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، وَمَنْ سَخَطَ فَلَهُ السَّخَطُ)^(٧) .. وعلى الإنسان - إذا حل به خلاف ما يهواه من شدائد وغيرها - أن يرضى ، لما فى ذلك من جزيل العطاء .. فإن لم يكن من أهل مقام الرضا فلا أقل من أن يكون من أهل مقام الصبر .. وقد قال بعض الشيوخ : (مَنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُقْبَلَ عَلَيْهِ قَطَعَ عَنْهُ الْعَلَاتِقَ ، وَأَنْزَلَ بِهِ أَنْوَاعَ الْبَلَايَا ، لَتَقُودَهُ إِلَى الرَّجُوعِ لِمَوْلَاهُ) .. فَمَنْ لَمْ يَتَضَرَّرْ ، أَوْ يَتَضَجَّرَ أَوْ يَتَبَرَّمَ ، فَلَهُ الرِّضَا وَالثَّوَابُ الْجَزِيلُ .. وَمَنْ سَخَطَ ، وَتَبَرَّمَ مَعْتَرِضًا عَلَى الْأَقْدَارِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَالْأَحْكَامِ الرَّبَّانِيَّةِ ، كَانَ لَهُ السَّخَطُ ، وَجَرَى الْمَقْدُورُ بِمَا سَبَقَ بِهِ الْكِتَابُ ، فَلَا رَادَّ لِقَضَاءِ اللَّهِ ، وَلَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ ، وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُدَبِّرُ الْأُمُورَ بِحِكْمَةٍ ، وَإِنْ خَفِيتَ عَلَى أُولَى

^(٣) فما يِيرَحُ : فما يزال .

^(٢) رقة : ضعف .

^(١) سورة محمد آية ٣١ .

^(٦) رواه البخارى كتاب المرضى .

^(٥) حبيبته : عينيه .

^(٤) رواه ابن ماجه كتاب الفتن .

^(٧) رواه ابن ماجه كتاب الزهد .

الألباب ، فالخير مُرادٌ في الأمور لذاته ، والشرُّ في بعض الأمور برّاقع .. فما من شرٍّ إلّا وهو جزئى ضمن خير كُلى ، لأن الله لا يفعل إلّا الخير ، وهو سبحانه القائل : (وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)^(١) .. لذلك كان بعض العارفين يقول : (أجدُ سُرُورِي عِنْدَ مَوَاقِعِ الْقَدَرِ) .. وكان بعضهم يحزن ويخاف إذا بسطت له الدنيا ويقول : أخشى أن يقال لى يوم القيامة : (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا)^(٢) .. وقد روى عن النبی (ﷺ) قوله : (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ)^(٣) .. وقد قيل : (الْمُؤْمِنُ لَا يَخْلُو مِنْ : عِلَّةٍ ، أَوْ قَلَّةٍ ، أَوْ ذِلَّةٍ) ..

والبلاء فى الدنيا للصّابرين عليه نعمة خفية ، لِمَا فيه من اللجوء إلى المولى عز وجل ، ولِمَا فيه من تكفير للسيئات ، أو رفعة للدرجات أو هما جميعاً .. وقد روى عن عبد الله بن سلام وعلي بن الحسين (رضى الله عنهم) أَنَّهُمَا قَالَا : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُنَادِي مُنَادٍ : لِيَقُمْ أَهْلُ الصَّبْرِ .. فَيَقُومُ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ فَيَقَالُ لَهُمْ : انْطَلِقُوا إِلَى الْجَنَّةِ .. فَتَلْقَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ فَيَقُولُونَ : إِلَى أَيْنَ ؟ فَيَقُولُونَ : إِلَى الْجَنَّةِ ، قَالُوا : قَبْلَ الْحِسَابِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ! فَيَقُولُونَ : مَنْ أَنْتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : نَحْنُ أَهْلُ الصَّبْرِ ، قَالُوا : وَمَا كَانَ صَبْرُكُمْ ؟ قَالُوا : صَبَرْنَا أَنْفُسَنَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، وَصَبَرْنَاهَا عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ ، وَصَبَرْنَاهَا عَلَى الْبَلَاءِ وَالْمِحَنِ فِي الدُّنْيَا .. قَالَ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ : فَتَقُولُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ : (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) .. وقال ابن سلام :

(١) سورة البقرة آية ٢١٦ . (٢) سورة الأحقاف آية ٢٠ . (٣) رواه البخارى كتاب المرضى .

فَقُولْ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ : (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) .. (١)

أنواع الصبر :

لقد قسم السادة الشيوخ الصبر إلى عدة أنواع :

(الصبر بالله .. الصبر مع الله .. الصبر في الله .. الصبر عن الله) ..

١- الصَّبْرُ بِاللَّهِ :

وهو أن يخرج العبد من حوله وقوته إلى حول الله وقوته ، مُوقِنًا بأنه لا حائل يحول بينه وبين المصائب إلا بالله ، ولا قُوَّةَ له على تحصيل المنافع إلا بالله ، وأنه لا يستطيع أن يمنع عن نفسه شرًّا ، ولا أن يَجْلِبَ لنفسه نفعًا .. وإنما عليه أن يلجأ إلى الله سائلًا إياه ، متوسلاً إليه أن يُصَبِّرَهُ ويعينه على الطاعة ، وأن يحول بينه وبين المعصية ، وأن يُلْهِمَهُ الشكر على نعمائه باستعمالها فيما يجب ، ويرزقه الصبر على بلائه ، فلا يشكو أو يجزع .. وتتضح هذه المعاني في قول الحق تبارك وتعالى : (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) (٢) .. (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) (٣) .. (وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ) (٤) .. (وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ) (٥) .. (مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا) (٦) وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٧) ..

(١) تفسير القرطبي سورة الرعد آية ٢٤ . (٢) سورة الأعراف آية ١٨٨ . (٣) سورة يونس آية ٤٩ .

(٤) سورة يونس آية ١٠٧ . (٥) سورة الأنعام آية ١٧ . (٦) سورة فاطر آية ٢ .

وهكذا يتضح أن الأمور كلها بيد الله ، وأنه هو النافع وهو الضار ، وبالتالي فالصبر الذى هو ملاك الأمر لا يتأتى إلا بفضل الله ، ولذلك كان التوجيه الربانى لسيد الخلق (ﷺ) : (وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ)^(١) .. وللوصول إلى هذا المقام لابد من التوجه إلى الله عز وجل بالطلب ، مع الاعتقاد الجازم بأنه لا حول ولا قوة إلا بالله ، وأن الخير والشر بيد الله ..

٢- الصَّبْرُ مع الله :

وهو أن يكون العبد مع الله تبارك وتعالى فى كل قضاء له وقدر ، بمعنى أن يكون هواه مع الله ، ومراده مع مراد الله ، راضياً بكل ما يأتيه من الله دون اعتراض باللسان أو القلب فيتحقق بوصف النبى (ﷺ) للمؤمن : (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْخَامَةِ^(٢) مِنَ الزَّرْعِ ، مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ كَفَأَتْهَا)^(٣) .. وهذا هو صبر الراضى ، وهو المطلوب ، وهو أعلى درجات الصبر ، وهو المقصود بالصبر مع الله .. إذ إن هناك صبر الكاره : وهو الذى لا حيلة له فى الأمر ، فهو صابر رغم أنفه ، وقلبه معترض على القضاء ، أو لسانه ناطق بالشكوى ، كطريح الفراش الذى يشكو مرضه لزوّاره ، والمتعجب من موت ولده دون مَنْ كان معه فى حادث سيارة مثلاً .. وكذلك الذى يلجأ إلى الزواج من أخرى لأن زوجته الأولى لا تُنجب إلا البنات .. وهكذا فإن كل اعتراض ، أو شكوى ، أو استفهام ، أو تَعَجُّب من حوادث القضاء والقدر لا يكون صبراً مع الله ، فالصبر مع الله إيمان راسخ بالقضاء والقدر : خيره ،

^(١) سورة النحل آية ١٢٧ . ^(٢) الخامة : الغضّة الرطبة من النبات . ^(٣) رواه البخارى كتاب المرضى .

وشره .. حلوه ، ومُره .. واعتقاد بأن الله لا يأتي إلا بالخير ، وأن البلية نعمة خفية ..
وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك .. وأن الله أرحم
بالعبد من الأم بولدها ..

٢- الصَّبْرُ في الله :

وهو الجهاد في سبيل الله في كل الميادين ، والسعى إلى رضائه بشتى الوسائل ..
ويدخل في نطاقه كل عمل يُؤدَّى بمشقة ، وبمخالفة الهوى ، أو التعرض للأذى ،
كالقتال لتكون كلمة الله هي العليا ، ولو تعرض الإنسان للإصابة بجروح ، أو لفقد
عضو من أعضائه ، أو حتى للاستشهاد .. وقد حكى القرآن الكريم عن الصابرين
في الله في مواضع كثيرة ، وحثنا على الاقتداء بهم ، مثل قوله عز وجل : (وَلَمَّا
بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى
الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)^(١) .. وقوله : (وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا
وَهْنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ)^(٢) ..
وقوله : (أَمَّ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ
الصَّابِرِينَ)^(٣) .. وقوله : (فَإِن يَكُن مِّنْكُمْ مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن
مِّنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)^(٤) .. وكذلك ما يلقاه الرُّسُلُ
في دعوتهم إلى الله من أقوامهم ، وما يلقاه المصلحون الآمرون بالمعروف والناهون

(١) سورة البقرة آية ٢٥٠ . (٢) سورة آل عمران آية ١٤٦ . (٣) سورة آل عمران آية ١٤٢ .

(٤) سورة الأنفال آية ٦٦ .

عن المنكر في كل مكان وزمان ، فيصبرون ابتغاء مرضاة الله ، ونشر دينه ، وإعلاء كلمته .. والأمثلة في القرآن على ذلك كثيرة ، منها : (وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُم نَصْرُنَا)^(١) .. (وَمَا لَنَا إِلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ)^(٢) .. (يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ^ط إِنَّ ذَلِكَ مِّنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)^(٣) .. ولقد وعد الله عز وجل الصابرين فيه ببلوغ أمانهم بقوله : (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)^(٤) ..

٢- الصَّبْرُ عَنْ اللَّهِ :

وهو صبر المحبين لله ، المشتاقين إلى لقائه ، والنظر إلى وجهه الكريم ، الذين تعلقت أرواحهم وقلوبهم بالجلال والكمال الرباني ، فهم منتظرون انتهاء آجالهم بصبر يكابد الشوق والترقب .. ولولا أن لهم آجالاً لا بد أن ينتهوا إليها ما استقرت أرواحهم في أبدانهم لحظة ، وهو صبر لا يفهمه إلا المحبون الذين امتلأت قلوبهم بحب الله لذاته ، فلا يعرف الشوق إلا مَنْ يكابده ، ولا يعرف الصبابة إلا مَنْ يعانيتها ، وقد أشار إلى هذا النوع من الصبر عن الله كثير من المحبين أمثال : « عمر ابن الفارض » ، و « ذى النون المصري » ، و « رابعة العدوية » في أشعارهم ، ومواجيدهم ، وتكلموا عن حب خالص خاص لا يعرفه الكثير من الناس ، وزعموا

(١) سورة الأنعام آية ٣٤ . (٢) سورة إبراهيم آية ١٢ . (٣) سورة لقمان آية ١٧ .

(٤) سورة العنكبوت آية ٦٩ .

أن العبادة الناشئة عن الطمع في الجنة أو الخوف من النار هي كعمل أجير السوء : إن أُعْطِيَ رَضِيَ ، وَإِنْ مُنِعَ سَخِطَ .. وأن الدافع إلى العبادة يجب أن يكون من منطلق الحب الخالص للذات العلية ، المبرراً من شبهات الخوف ، والطمع ، فالله هو المعبود الحق الذي تَجِبُ عبادته والسعى إلى رضائه ، ولو لم تكن هنالك جنة ولا نار .. فهو سبحانه الجمال المطلق ، والجلال المطلق ، والكمال المطلق الذي تورث عبادته وطاعته لذة وهناء ، وَيُغْنِي الأُنْسُ بذكره عن كل أنيس .. ويتساءل هؤلاء : لو لم يخلق الله الجنة والنار أكان المقربون ينصرفون عن عبادته والسعى إلى مرضاته ، والشوق إلى لقائه ؟ وما معنى قول الرسول (ﷺ) : (حُبَّ إِلَيَّ النِّسَاءُ ، وَالطَّيِّبُ ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ) ^(١) ؟ ولماذا كان يقوم الليل حتى تتورم قدماه وقد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟! ويستشهد هؤلاء بأوصاف للمحبين جاءت في القرآن مثل : (كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) ^(٢) ..

وهكذا يُولِّدُ الحبُّ الصادقُ لله ، ومعرفة صفاته العليا ، اشتياقاً للقاءه ، يكابده المُحِبُّونَ ، ويترجمونه إلى اجتهاد في الطاعة ، واثتناس بذكر الله ، وتلاوة كلامه ، بعيداً عن كل ما يشغل من أمور الدنيا ، مستغلين هُدَاة الليل ، وغفلة العيون ، مستعينين بكل ذلك للصبر عن لقاء الله ، حتى يأتيهم الموت إتيان حبيب جاء على شوق ..

هذا .. والصبر - في كل الأحوال بجميع أقسامه - يحتاج إلى محاولة وتكُلُّف

^(٢) سورة الذاريات آية ١٧ .

^(١) رواه النسائي كتاب عشرة النساء .

من الإنسان حتى يصل إلى أرقى أنواع الصبر ، ألا وهو الصبر الجميل الذى ورد على لسان « يعقوب » (عليه السلام) حين جاءه أبناءه يزعمون أن الذئب قد أكل أخاهم « يوسف » إذ قال كما حكى القرآن عنه : (بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) (١) .. وقد قالها مرة أخرى حين جاءوه يخبرونه بأن ابنه الآخر سرق ، وأخذ رقيقاً جزاء سرقة : (بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) (٢) .. وقد شرح العلماء معنى الصبر الجميل بأنه : الصبر الذى لا شكوى معه ..

كما أن الصبر المطلوب حال البلاء هو الصبر عند الصدمة الأولى ، وليس بعد فتور حرّ المصيبة .. فقد روى أن النبی (ﷺ) مرّ بامرأة تبكي عند قبر ، فقال لها : (اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي) .. قَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبِّ بِمُصِيبَتِي .. فَلَمَّا ذَهَبَ قِيلَ لَهَا إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) .. فَأَخَذَهَا مِثْلُ الْمَوْتِ ، فَأَتَتْ أَبَاهُ ، فَلَمْ تَجِدْ عَلَى بَابِهِ بَوَّائِينَ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ أَعْرِفْكَ .. فَقَالَ : (إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى) (٣) ..

هذا .. ويقول (ﷺ) : (مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعْفَهِ اللَّهُ .. وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ .. وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ .. وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ) (٤) ..



(٢) سورة يوسف آية ٨٣ .

(١) سورة يوسف آية ١٨ .

(٣) رواه البخارى كتاب الجنائز ، ومسلم كتاب الجنائز . (٤) رواه البخارى كتاب الزكاة .

وبعد ..

أيها القارئ الكريم ، تلك كانت إشاراتٌ إلى بعض أخلاقيات الإسلام ..
التي لا يمكن أن تُوفيه العبارات ..
والتي من أجلها كانت الرسالات ..
والتي بها تصحح المعاملات ..
وتُنهال أرفع الدرجات .. وأعلى المقامات ..
وليس من العسير التخلُّق بها .. بالقليل من المجاهدات ..
فالنفس إن لم نشغلها بالحق ، شغلنا بالباطل ..

والله نسأل أن يهدينا لأحسن الأخلاق .. لا يهدي لأحسنها إلا هو ..
وأن يصرف عنا سيئها .. لا يصرف عنا سيئها إلا هو ..
وأن يؤتينا نفوسنا تقواها .. ويزكيها ..
هو خير من زكاها .. له مماتُها .. ومحياتها ..

ياسين رشدي

الكتاب القادم

مِنْ مَجَامِعِ الْكَلِمِ

٦

- مجموعة مختارة من أحاديث سيد المرسلين (ﷺ) مشروحة شرحاً مُيسراً ..
- على منابر من نور .
- نية المرء خير من عمله .
- الأمل في الله .
- إذا فسد الزمان .
- مفاتيح الرحمة .
- الإفلاس الحقيقي .
- سيد الاستغفار .
- صنائع المعروف .
- أهل الله وخاصته .
- أفضل الجهاد .
- الستر في الدارين .
- العتاب الغريب .
- الأعمال بالخواتيم .
- الحب في الله .
- التفاصيل الدقيقة لشكل النبي (ﷺ) من وصف امرأة رآته ، ولم تكن تعرفه .
- وصاف العرب يصف رسول الله (ﷺ) وكأننا ننظر إليه .
- دعوات النبي (ﷺ) في مختلف الظروف والأحوال .

مجموعة كتب الطريق إلى الله

- ١- هو الله
- ٢- الإسلام وأركانه
- ٣- من الأحاديث القدسية
- ٤- المحظورات
- ٥- من أخلاقيات الإسلام
- ٦- من مجامع الكلم
- ٧- التربية في الإسلام
- ٨- في رحاب الأصحاب
- ٩- نساء مؤمنات
- ١٠- التصوف ما له وما عليه
- ١١- من أحكام الإسلام
- ١٢- تأملات في آيات من القرآن الكريم
- ١٣- من علوم القرآن وبلاغته
- ١٤- مناجاة
- ١٥- في رحاب المصطفى المختار ﷺ

يُهدى ولا يُباع
جمعية المواساة الإسلامية
Site: www.mouassa.org
Email: mouassa1@hotmail.com

إصدارات

فضيلة الشيخ / ياسين رشدي

- ١- سلسلة كتب الطريق إلى الله (خمس عشرة كتابًا) .
- ٢- التفسير الجامع لمعاني القرآن الكريم .
- ٣- شرح كامل واف للأحاديث النبوية التي أوردها الإمام البخاري في صحيحه .
- ٤- مجموعة من الإجابات الواضحة على أسئلة في مواضيع شتى تهّم المسلم في دينه ودنياه .

هذا .. والجدير بالذكر أن جميع الإصدارات السابقة متوفرة على شرائط مسموعة ومرئية وأسطوانات (cd) ، وموجودة أيضًا على الموقع الإلكتروني لجمعية المواساة الإسلامية www.mouassa.org

لجنة نشر الثقافة

جمعية المواساة الإسلامية بالإسكندرية

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ،،